أبو اليسر فرح

موقف الملك أنطيوخس الرابع من اليهود فى فلسطين(•)

كان الملك السلوقى أنطيوخس الرابع (١٧٥-١٦٣) من أكثر حكام العصر الهللينيستى إثارة للجدل، فقد شغلت أخباره حيزاً كبيراً من الكتابات التى تناولت تاريخ الدولة السلوقية، وبخاصة تلك التى تناولت تاريخ اليهود فى فلسطين، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى ذلك الصراع المرير الذى نشب بين هذا الملك واليهود، والحقيقة أن من يقدم على دراسة هذا الصراع يجد نفسه فى حيرة شديدة، مردها إلى ذلك التباين الحاد فى نظرة المصادر إلى الملك أنطيوخس الرابع، وانقسامها فى الحكم عليه ما بين مؤيد ومعارض، فإن المصادر اليهودية فى الغالب، مثل الكتابين الأول والثانى للمكابيين، وكذلك المؤرخ جوزيفوس، كالت له الاتهامات، وألصقت به كل ما هو مشين ، واصفة إياه بعدو الرب. وبأن رجاله لا يتسمون بالتقوى، بل تسيطر عليهم روح القسوة والغطرسة.(١) وقد تجلت روح الشماتة والكراهية بأقصى درجاتها فى الوصف الذى جاء فى الكتاب الثانى للمكابيين للحظات الأخيرة من حياة الملك أنطيوخس الرابع، وكيف سيطر عليه الندم "بسبب ما اقترفه خلال حكمه من آثام تجاه شعب الرب".(٢)

(•) تم القاء هذا البحث فى سمنار التاريخ اليونانى والرومانى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، خلال الموسم الثقافى ٢٠٠٤.٢٠٠٥.

(1) Mørkholm, Otto; Antiochus IV of Syria. København (1966). p. 181.

(2) 2 Macc. 9, 5-18.

يحكى الكتاب الثانى للمكابيين قصة الفشل الذى منى به أنطيوخس الرابع فى الحملة الفارسية قائلا: "لقد أمر سائق عربته بأن يجرى بسرعة، ولم يكن يدرى أن العدالة الإلهية كانت تلاحقه، وقد دفعته غطرسته إلى أن يقول عندما أصل إلى أورشليم سوف أجعلها مقبرة شاملة لليهود"، ثم يستطرد قائلاً: "أن أورشليم المدينة المقدسة التى كان يتعجل تسويتها بالأرض، وتحويلها إلى مقبرة اضطر إلى إعلانها مدينة حرة لكل اليهود" ثم يقول: "إن حكم الرب قد حق عليه، وعندما ازدادت آلامه أرسل خطابه لليهود" عن الكتاب الأول والثانى انظر:

بارتلت *Bartlett* حيث نشر المؤلف نص الكتابين كاملاً، مع تعليقات مفصلة.

Bartlett, John. R; The First and second Books of The Maccabees. Cambridge. (1973).

وعلى العكس من تلك الكلمات التى تتضح بالشماتة والكراهية؛ نجد كلمات الإعجاب عند البعض الآخر فى بعض الأحيان، فها هو المؤرخ الكبير بوليبيوس *Polybius* يمتدح الكثير من الجوانب فى شخصية أنطيوخس الرابع قائلاً: "إن الملك أنطيوخس الرابع كان نشيطاً، وكانت لديه قدرة عظيمة على الابتكار، لقد كان جديراً بالمكانة الملكية".(١)

كما تسيطر علينا الحيرة ذاتها عندما نطالع الكتابات الحديثة التى تناولت سيرة هذا الرجل، وإذا كانت هذه الكتابات قد اختلفت فى الحكم على بعض جوانب شخصية أنطيوخس الرابع؛ فإنها اتفقت فى انه كان يشكل لغزا لمعاصريه،(٢) وقد ظل كذلك حتى يومنا هذا ، والحقيقة أن ولعه الشديد بالحضارة الإغريقية دفع الكثيرين إلى الاعتقاد بأن كل ما أقدم عليه كان ينبع من رغبته الشديدة فى الأخذ بهذه الحضارة، بينما يرى آخرون أن الأمر لا يعدو أن يكون رغبة من هذا الملك فى توحيد دولته فى ظل، إطار حضارى واحد.(٣)

وينظر بعض الباحثين إلى الملك أنطيوخس الرابع نظرة أكثر شمولاً، وذلك من خلال النظرة العامة إلى أوضاع الدولة السلوقية، فيرون أن هذا الملك قد سار على نهج أسلافه، وأنه انتهج سياسة تقوم على التسامح الدينى إزاء رعاياه، إلا أن ثمة اختلاف يميزه عن أسلافه، وهو اعتقاده بأنه كان صاحب رسالة هدفها نشر الحضارة الإغريقية فى ربوع المملكة، وعلى وجه الخصوص

(1) Polybius. XXIX, 26. The Histories. Tr. W. R. Paton. Loeb Classical Library. (1968).

(2) Bevan. E. R., The House of Seleucus. Chicago. (1985), p. 128.; Radin, Max; The Jews among the Greeks and Romans. New York (1973). p. 136.

(٣) يقول بيفان على سبيل المثال فى موسوعة كامبردج "إننا لا نستطيع أن نقرر إلى أى مدى ذهب فى حبه للحضارة الإغريقية، ومدى إدراكه للجوانب النبيلة فى هذه الحضارة":

Cambridge Ancient History VIII. Cambridge. (1930), p. 499.

وسوف نكتفى عند الإشارة إلى هذه الموسوعة بعد ذلك بالاختصار C.A.H بينما يتحدث روستوفتزف عن التقدم الذى أحرزه أنطيوخس فى تحقيق الدمج بين الشرقيين والإغريق، ولكن هذا الدمج جاء على حساب الشرقيين.

Rostovtzeff, M; Social and Economic History of the Hellenstic World. Oxford (1941). pp.703-4.

عبادة الإله زيوس الاوليمبى، ويذهب بعضهم إلى القول بأنه كان حريصا على الربط ما بين هذا الإله وشخصه هو (أى أنطيوخس)، وأنه كان يرمى من خلال ذلك إلى إيجاد رمز مقدس تتوحد حوله المملكة.(١)

ويمكن القول بأن المؤرخ بيفان *Bevan* كان أول من لفت الأنظار إلى فكرة الربط ما بين الإله زيوس وأنطيوخس الرابع.(٢) واستنادا إلى هذه الفكرة فقد فسر فريق من الباحثين سياسة أنطيوخس الرابع تجاه اليهود بأنها تصرفات شخص إغريقى متعصب تجاه عقيدة أخرى، وأنه أنتهز فرصة الصراعات التى نشبت بين اليهود من أجل إعلاء شأن الحضارة الإغريقية، وفرض شخصيته.

لم يقتصر الأمر عند بعض الباحثين فى تفسير الدوافع التى تكمن فى سياسته تجاه اليهود عند الدوافع الحضارية، بل راحوا يبحثون عن دوافع أخرى، ووجدوا ضالتهم المنشودة فى الجانب المادى، فقالوا أن التركة الثقيلة التى ورثها أنطيوخس الرابع عن أنطيوخس الثالث، والتى تتمثل فى الغرامة الشديدة الوطأة، التى فرضها الرومان على الدولة السلوقية، بمقتضى شروط صلح أباميا، قد أرهقت خزانة الدولة،(٣) وأن أنطيوخس الرابع على الأقل فى أيامه الأخيرة قد أشرف على الإفلاس،(٤) ولكن يوجد فريق آخر يدحض هذا الرأى، ويرى أصحابه أن أنطيوخس الرابع كان أغنى من كل الملوك

(1) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 14; Rostovtzeff, op. cit. pp. 704-5.

(٢) أشار إلى هذه الفكرة فى البداية فى إحدى مقالاته فى مجلة الدراسات الهيللينية. أنظر:
JHS. XX. (1900). P. 26.
ثم عاد إلى ذكرها فى مؤلفه الشامل عن الدولة السلوقية والذى أشرنا إليه من قبل أنظر:
Bevan. E. R; op. cit. II. p. 155.

(٣) أرجع بيفان رغبة أنطيوخس الرابع فى القيام بالحملة الشرقية إلى حاجته إلى المال. أنظر:
Bevan. E. R; op. cit. II. p. 158.

(4) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 15.

الذين سبقوه،[١] والحقيقة أن سياسة هذا الملك الداخلية لم تكن هى الأمر الوحيد الذى يثير الجدل، بل بعض الجوانب سياسته الخارجية أيضا، فما تزال دوافعه للقيام بحملتين على مصر أمرا غامضاً.

نحن إذن بإزاء شخصية محيرة ومثيرة للجدل، ولعل أكثر الأمور التى لفتت نظر المؤرخين فى شخصية أنطيوخس الرابع، هو ذلك الجانب الذى يتعلق بسياسته تجاه اليهود فى فلسطين، وقبل أن نخوض فى تفاصيل الأحداث التى ترتبط بهذه السياسة فإننا بحاجة إلى أن نسلط الضوء على شخصيه أنطيوخس الرابع، ولعل مما يساعد على فهم جوانب شخصية هذا الملك أن نتعرف على الظروف التى نشأ فيها، والتى ألقت بظلالها على تكوينه الشخصى.

١ . الدولة السلوقية بعد صلح أباميا.

شكلت اتفاقية أباميا منعطفا مهما فى تاريخ الدولة السلوقية، ومما هو جدير بالذكر أن هذه الاتفاقية تم توقيعها بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ولقى الملك أنطيوخس الثالث هزيمة منكرة على يد الرومان فى موقعة ماجنيسيا *Magnesia* فى عام ١٩٠، وأجبروه على توقيع صلح مهين، وهو صلح أباميا *Apamea*، حيث أملوا عليه شروطاً مجحفة، كان عليه بمقتضاها أن يتخلى عن ممتلكاته فى بلاد اليونان وآسيا الصغرى، وكل المناطق التى تقع شمال جبال طوروس، وأن يدفع للرومان غرامة حرب مقدارها ١٥ ألف تالنت من الفضة، يتم تسديد ٥٠٠ منها فى التو، و ٢٥٠ ألفا عند توقيع الاتفاق،[٢] أما باقى المبلغ فيجرى دفعه على أقساط لمدة ١٢ عاما، وأن تقوم الدولة السلوقية بتعويض أتاللوس الأول (*Atallus I*) ملك برجامة وحليف الرومان عن خسارته، وتقضى شروط الصلح أيضا بأن يسلم أنطيوخس الثالث بعض أعداء روما، الذين يأويهم البلاط السلوقى،

(1) Tarn, W, Griffith, G, T; Hellenistic Civilization. London, (1959). p. 143.

(2) C.A.H. VIII. p. 231; Bevan; op. cit. II. (2004), p. 113.

وعلى رأسهم هانيبال عدو روما اللدود،[١] وحتى يضمن الرومان التزام الملك السلوقى بتنفيذ بنود الاتفاقية، فرضوا عليه تسليم ٢٠ من الرهائن، يقوم الرومان بتحديدهم.[٢]

كان من بين الأشخاص الذين وقع عليهم الاختيار أنطيوخس أصغر أبناء الملك أنطيوخس الثالث (أنطيوخس الرابع فيما بعد)،[٣] وقد حرص أنطيوخس الثالث ومن بعده ابنه سلوقس الرابع على تنفيذ بنود الصلح بدقة متناهية، وحرصوا كذلك على الاستجابة لمطالب القادة الرومان، حتى تلك التى لم تتضمنها بنود الاتفاقية، وكان الرومان بدورهم يتصرفون باعتبارهم منتصرين، وبأسلوب لا يخلو من العنجهية فى كثير من الأحيان، وقد فرضوا على أنطيوخس الثالث أن يسلم الفيلة التى كان يستخدمها فى جيشه، وأمروه بتخفيض عدد سفن الأسطول إلى عشر سفن فقط، وألا يقوم هذا الأسطول بأى عمليات غربى شواطئ غربى كيليكيا *Cilicia*.[٤]

---

(١) بعد هزيمته فى موقعة زاما عام ٢٠٢ لجأ هانيبال إلى الملك أنطيوخس الثالث وعرض عليه خبرته فى حرب الرومان، وبعد هزيمة أنطيوخس الثالث هرب، وانتهى به الأمر إلى تجرع السم حتى لا يقع أسيرا فى أيدى الرومان. أنظر:

Cary, M., and Scullard, H. H; A History of Rome 3rd ed. London. (1979), pp. 162-65.

(2) Polybius. XXI. 17, 3-8.

عن صلح أباميا بشكل عام. انظر:

MacDonald, A. H; The Treaty of Appamea (188 B.C) J.R.S. 57. (1967) p. 1-8.

(3) Appian, Syr. Appian. Roman History. Syrian Wars. Tr. Hortace White. L.C.L. (1972), 34.

ثار جدل بين الباحثين حول موعد تسليم هذا الأمير للرومان، ويرى البعض منهم أن هذا التسليم لم يتم إلا بعد توقيع صلح أباميا فى عام ١٨٨، وربما كان السبب فى إثارة هذا الجدل هو عدم ورود اسم الأمير أنطيوخس صراحة عند بوليبيوس، ويقول ماركو لم أنه من غير المعقول أن ينتظر الرومان عاما بأكمله حتى يتسلموا أهم الرهائن لذا فإنه يرجح أن الرومان تسلموا الرهائن جميعا فى عام ١٨٩، وتم الاحتفاظ بهم فى إفيسوس لحين توقيع بنود الصلح النهائى فى أباميا فى عام ١٨٨. أنظر: Mørkholm, Otto; op. cit. p. 15.

(4) Polybius. XXI, 43, 12.

كان لشروط صلح أباميا أثارا بالغة الأهمية على الدولة السلوقية، فإلى جانب الخسائر البشرية والمادية التى منيت بها، والممتلكات التى انتزعت منها ، كانت هناك خسارة أكبر، وهى خسارة معنوية، تتمثل فى فقدان الدولة لهيبتها على صعيد السياسة الدولية، مما أدى إلى عزلتها، وعلى الرغم من محاولات أنطيوخس الثالث كسر هذه العزلة التى فرضت عليه، ومحاولته مد جسور الصداقة إلى بعض القوى فى آسيا الصغرى،(١) إلا أن حلفاءه انفضوا من حوله وهرولوا إلى روما، أما حكام أرمينيا الذين كانوا يحكمون باعتبارهم نوابا *Strategoi* عن الملك السلوقى، فإنهم شقوا عصا الطاعة، وحملوا لقب ملك.(٢) وذهبت أدراج الرياح كل محاولات أنطيوخس الثالث لاستعادة مكانة دولته فى آسيا، ولم يعد لها مكانة بعد حدود ميديا.

أما فى الجهة الجنوبية فقد سمح لأنطيوخس الثالث بالاحتفاظ بإقليم جوف سوريا وفينيقيا، الذى استولى عليه من مصر فى عام ٢٠٠، وقد عمل أنطيوخس الثالث على توطيد علاقته بمصر من خلال تزويج ابنته كليوباترة من الملك بطلميوس الخامس.(٣)

ولكن على الرغم من الصورة القاتمة التى بدت عليها الدولة السلوقية بعد صلح أباميا، بعد أن حرمت من ممتلكاتها شمال جبال طوروس، وانسلاخ ممتلكاتها، فإنها كانت ما تزال تسيطر على مناطق شاسعة، تعد من أخصب بقاع العالم، مثل منطقة الهلال الخصيب التى تحتوى على ثروات طبيعية هائلة، وقد عبر المؤرخ روستوفتزف *Rostovtzeff* عن ذلك حين قال "على الرغم من الخسارة التى تعرضت لها المملكة السلوقية بعد أباميا، وسوء الحظ الذى لازمها بعد ذلك، فإن سوريا لم يتم تدميرها، كما أن الرخاء الذى كانت تنعم به لم يلحقه الدمار".(٤)

(1) Appian, Syr. 5.

(2) Strabo. XI. 14, 5, 15. tr. H.L. Jones. L.C.L. (1966).

(3) Appian, Syr. 5.; Holbel, G; A History of the Ptolemaic Empire. London. (2001), p. 140.

(4) C.A.H. VIII. p. 495.; Rostovtzeff; op. cit. II. p. 696.

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة السلوقية ظلت تقوم بدور نشط فى التجارة مع الغرب، من خلال الموانئ الفينيقية ، وكانت لدى الاقتصاد السلوقى الفرصة لأن يتعافى، إلا أن الالتزامات المالية التى فرضها الرومان كانت ما تزال تكبله، وكانت الخزانة العامة منهوكة، مما دفع أنطيوخس الثالث إلى الإقدام على الاستيلاء على كنوز معبد الإله بعل فى عيلام فى عام ١٨٧، كما أقدم ابنه وخليفته على محاولة شبيهه حين أراد أن يستولى على كنوز هيكل أورشليم، على الرغم من أن والده كان قد أقر الامتيازات التى كان يتمتع بها اليهود،[١] ومن الواضح أن سلوقس الرابع عجز عن الوفاء بالتزاماته تجاه الرومان، الأمر الذى يتضح بجلاء من خلال قيام أنطيوخس الرابع بدفع القسط الأخير لروما فى عام ١٧٣.

كان سلوقس الرابع الذى خلف والده أنطيوخس الثالث على العرش فى عام ١٨٧ يتمتع بخبره واسعة، وكان بمثابة الساعد الأيمن لوالده، وفى عام ١٨٩ عين وليا للعهد[٢] وقد اتسم بالحيوية والنشاط إلا أن الظروف الصعبة التى كانت تعانى منها الدولة آنذاك لم تتح له الفرصة لإظهار كفاءته، ولكن فترة حكمه (١٨٧-١٧٥) تمثل الفترة التى كانت الدولة تحتاجها لاسترداد عافيتها، فقد حاول هذا الملك أن يخرج بلاده من العزلة التى ضربت حولها، وذلك من خلال إحياء علاقات سوريا ببعض القوى فى بلاد اليونان، مثل أثينا والعصبة الآخية، كما عمل على استعادة مكانة بلاده فى آسيا الصغرى من خلال التوسط لحل النزاعات التى نشبت بين بونتوس *Pontos* وبرجامة *Pergamon* وكبادوكيا *Capadocia*، وأوشك على التورط فى النزاعات العسكرية فى آسيا الصغرى، لكنه تراجع لخشيتة من الرومان، الذين كانوا يتوجسون خيفه من أى تحرك للدولة السلوقية عبر جبال طوروس، لأن ذلك يشكل انتهاكا صريحا لبنود صلح أباميا.[٣] وفى إطار رغبته فى

(1) Diodoros. XXVIII, 3, XXXIX, 5. tr. Francis R. Walter. L.C.L. (1967); Brigt, John, A History of Israel. London. (1972). p. 240.

(2) Bevan. op. cit. II, pp. 119ff.

(3) Diodoros. XXIX, 24.

إخراج بلاده من عزلتها، سعى سلوقس الرابع إلى التقارب مع مقدونيا، وقام بتزويج ابنته من برسيوس *Perseus* ملك مقدونيا فى عام ١٧٨،[١] وقد أثار هذا التقارب هواجس يومينيس الثانى *Eumenues II*، ملك برجامة وحليف الرومان، ورأى أن هذه السياسة ترمى إلى عزل برجامة، فأخذ فى تحريض الرومان، مما دفعهم إلى مراقبة سلوقس الرابع.

وفى عام ١٧٦ تم إرسال ديمتريوس أكبر أبناء سلوقس الرابع إلى روما، لكى يحل محل عمه أنطيوخس (الرابع فيما بعد) الذى اكمل ١٣ عاما فى أسر الرومان[٢] وأعقب ذلك اغتيال سلوقس الرابع على يد وزيره هليودوروس *Heliodoros*، الذى ساءت علاقته بالملك بعد أن فشل فى الاستيلاء على كنوز هيكل أورشيلم لصالح الخزانة الملكية،[٣] وبعد وفاة الملك جرى تنصيب ابنه ملكا، وكان ما يزال طفلاً فى الخامسة من عمره، وقد تولت الوصاية عليه أمه الملكة لاوديكى، ولكن هليودوروس كان صاحب السلطة الحقيقية فى الدولة، ويلمز البعض إلى أن لاوديكى ربما كانت شريكة لهيلودوروس فى مؤامرة قتل الملك.[٤]

---

(1) Polybios. XXV, 4, 8.

(٢) يرى المؤرخ أبيان أن سلوقس الرابع هو الذى أراد ارسال ابنه إلى روما لكى يفك أسر شقيقه، أنظر: Appian, Syr. 45، والحقيقة إننا لا نقبل هذا الرأى، لأنه لا توجد لدينا دلائل على وجود علاقة وثيقة ما بين سلوقس الرابع وشقيقه، وفى الغالب أن هذا الاستبدال قد تم بناء على طلب الرومان، وذلك من أجل ممارسة مزيد من الضغط على سلوقس الرابع عن طريق أخذ أبنه الذى كان يبلغ من العمر عشر سنوات فقط، وربما كان ذلك أيضا استجابة لتحريض يومينيس الثانى ملك برجامة. وحول هذا الأمر، انظر أيضا المقال الذى كتبه إليعازر بالتيل فى مجلة الجمعية الأسترالية للدراسات الكلاسيكية.

Paltiel, Eliezer; Antiochos IV and Demetrios I of Syris. Antichton. Vol. 13. (1979) pp. 42-7.

(3) Appian, Syr. 45; 2 Macc. 3, 37; McCullough, W. S.; The History and Literature of the Palestinian Jews from Cyrus to Herod. 550 B.C. to 4 B.C., Toronto, Canada.. (1977), p. 106.

(4) Gera, Dov; Judaea and Mediterranean Politics. 219 to161 B.C. p. 110. n. 8.

٢ . أنطيوخس الرابع يتولى العرش

عندما وصل أنطيوخس إلى روما كان فى العشرينيات من العمر،[١] وقضى فيها ثلاثة عشر عاما، وقد لقى معاملة كريمة من قبل الرومان،[٢] ومما لاشك فيه أنه تأثر كثيرا بما رآه فى روما، وأثارت انبهاره الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية، وهو ما دفعه إلى العمل على تطبيق الكثير من النظم الرومانية فى بلاده بعد العودة من روما، ولعل أبلغ دليل على ذلك هو إقامته معبد للإله جوبتر الكابيتولينى فى أنطاكية، وقيامه بإعداد بعض الوحدات فى جيشه على النمط الرومانى،[٣] كما كانت تربطه علاقات وطيدة ببعض الساسة الرومان.

تأثر أنطيوخس بسلوكيات الرومان أيضاً، فكان يحب السير فى شوارع إنطاكية مرتديا العباءة الرومانية *Toga*، وفى بعض الأحيان كان يقف فى ساحة السوق العامة *agora* لكى يستمع إلى شكاوى رعاياه،[٤] وعلى الرغم من أن البعض كان يرى فى تصرفات أنطيوخس الرابع قدرا من الغرابة والخروج عن المألوف، إلا أن فريقا آخر يرون فيها نوعا من البساطة، أراد من خلالها هذا الملك تنظيم الإدارة فى إنطاكية على أسس جديدة وتشجيع الناس على الإقبال على المشاركة فى الحياة العامة، ونشر روح وسلوكيات اعتاد أن يشاهدها فى روما.[٥]

---

(١) اختلفت المصادر حول تاريخ ميلاد أنطيوخس، ويذكر البعض أنه شارك فى معركة بانيون عام ٢٠٠ إلا أن بوليبيوس يرفض هذا الرأى، أنظر: Polybius. XXVI, 18, 6, 19, 9.

(2) Paltiel, Eliezer; Antiochos Epiphanes and Roman Politics, Latomos. Revue d'etude, Latines vol. XLI. (1982) p. 231.

(3) Polybius. XXX, 25, 3.

(4) Polybius. XXVI, I; Diod. XXIX, 32.

(5) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 40.

وكما ذكرنا آنفاً ففى عام ١٧٦ تم استبدال أنطيوخس بابن شقيقه ديمتريوس، وبعد فك أسره توجه أنطيوخس إلى أثينا فى طريقه إلى سوريا،(١) وقد اختلفت المصادر حول المدة التى قضاها فى أثينا، ولكن أيا ما كانت هذه المدة فإنها كانت كافية لأن تترك أثرا بالغ الأهمية فى نفس الأمير الشاب، مما جعله شديد الإعجاب بعاصمة الحضارة الإغريقية، وقد بادله الأثينيون حبا بحب، فبعد أن ارتقى العرش بادروا بتكريم يومنيس الثانى ملك برجامة وأشقائه اعترافاً بفضلهم فى مساعدة أنطيوخس "صديق الشعب الأثينى" على تولى العرش السلوقى، كما ورد فى قرار التكريم، وأشار القرار أيضا إلى التماثيل التى نصبت للملك السلوقى فى ساحة السوق العامة فى أثينا.(٢)

انتعشت أمال أنطيوخس فى الوصول إلى العرش السلوقى عندما ترامت إليه أنباء اغتيال شقيقه سلوقس الرابع، لأن الابن الأكبر للملك القتيل وهو ديمتريوس كان رهينة لدى الرومان، وكان أصغر من أن يطالب بالعرش،(٣) وفى سوريا حاول الوزير القاتل هليودوروس إضفاء الشرعية على سلطته، وذلك من خلال الاحتماء خلف الطفل الصغير، ابن الملك القتيل وزوجته لاوديكى، وقد وقعت على كاهل أنطيوخس مهمة إنقاذ العرش السلوقى من براثن هليودوروس، إلا أنه كان يفتقر إلى الإمكانيات التى تؤهله لتنفيذ هذه المهمة، ولم يلبث الغوث أن جاءه من ناحية يومينيس الثانى ملك برجامة وأشقائه، وكان ذلك بمبادرة منهم.(٤) وعلى الفور توجه أنطيوخس إلى مملكة برجامة، حيث قبع فى موضع بالقرب من الحدود السورية، وزودته مملكة برجامة بالرجال والعتاد والاعتراف به

(١) يرى المؤرخ أبيان أن إقامته فى أثينا لم تتجاوز بضعة أيام، أنظر: Appian, Syr. 45 بينما يقول باحث حديث أن هذه الإقامة استمرت لمدة عامين أو ثلاثة، أنظر: Gera, Dov; op. cit. p. 111, 113.

(2) O.G.I.S. I. no. 248, 55-56. Orientis graeci inscriptiones Selectae ed W. Dittenberger. Leipzig, 1903-5.

(3) Paltiel, Eliezer; Antiochos IV and Demetros I of Syria, Antichton. vol. 13. (1979) p. 43.

(٤) عن دور برجامة فى مساعدة أنطيوخس على تولى العرش. Mørkholm, Otto; op. cit. pp. 41ff

ملكاً[١] وقد تمكن أنطيوخس بفضل ذلك من الاستيلاء على السلطة فى سوريا، أما هليودوروس فقد اختفى من مسرح الأحداث، وتولى أنطيوخس العرش، وأشرك معه ابن شقيقه الراحل فى الحكم وكان يدعى أنطيوخس أيضا، غير أن هذا الأخير لم يلبث أن لقى حتفه فى ظروف غامضة، ويقال أن ذلك كان بإيعاز من أنطيوخس الرابع، الذى أراد أن يبعد الشبهة عن نفسه، فألصق الاتهام بأحد رجاله وأمر بإعدامه.[٢]

وعلى صعيد السياسة الخارجية فإن أنطيوخس الرابع حافظ على علاقات طيبة مع كافة الممالك فى آسيا الصغرى، وعلى رأسها مملكة برجامة صاحبة الفضل الأكبر فى وصوله إلى العرش، كما وجه اهتماماً كبيراً إلى بلاد اليونان،[٣] وحرص على إظهار مدى حبه وتقديره للحضارة الإغريقية، والحقيقة أنه على الرغم من أن حبه للحضارة الإغريقية كان جارفاً، فإننا لا نستطيع استبعاد الأهداف السياسية من وراء اهتمامه ببلاد اليونان.

ولما كان الهدف من هذا البحث ينصب أساسا على سياسة أنطيوخس الرابع تجاه اليهود فى فلسطين، فإننا نرى أن نمهد لهذا بالحديث عن سياسة الدولة السلوقية فى فلسطين، وفى جودايا على وجه الخصوص،[٤] حتى يمكننا متابعة التطورات التى طرأت على هذه السياسة فى عهد أنطيوخس الرابع.

---

(1) Appian, Syr. 45.

(2) Bevan. II., op. cit., II, p. 128; McCullough, W. S; op. cit. p. 106.

(٣) عن علاقات أنطيوخس الرابع ببلاد اليونان. أنظر: Mørkholm, Otto; op. cit. pp. 51ff.

(٤) نفضل استخدام كلمة جودايا لوصف المنطقة التى كانت مسرحاً للأحداث التى يدور حولها هذا البحث، بديلا من تعبير بلاد اليهود أو إمارة يهودية، ونتفق مع د/ عبد الوهاب المسيرى فى هذا الوصف. أنظر: عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٤، القاهرة (١٩٩٩)، ص ١١٧.

٣ . سياسة الدولة السلوقية فى فلسطين

بعد موقعة بانيون *Panion* فى عام ٢٠٠، تمكن أنطيوخس الثالث من الاستيلاء على إقليم جوف سوريا، وأصبحت فلسطين من أملاك الدولة السلوقية،(١) ولم يجد الملك السلوقى عناء فى اكتساب مودة اليهود، الذين استقبلوه بترحاب عند دخوله أورشليم(٢) فقد أحتشد كبار اليهود عند بوابة المدينة المقدسة للترحيب بحاكمهم الجديد، وقدموا المؤن للجيش السلوقى، وساعدوه فى طرد الحامية المصرية من أورشليم، وقد بادلهم أنطيوخس الثالث مشاعر المودة، فأرسل خطابا للحاكم السلوقى فى المنطقة يقرر فيه الامتيازات التى يتمتع بها اليهود، ويعد بإرسال الأضاحى التى تقدم فى هيكل أورشليم، كما وعد بإطلاق سراح اليهود الذين وقعوا فى الأسر إبان الحرب السورية المصرية، وأن يعيد هؤلاء الذين هجروا ديارهم.(٣)

جاء فى خطاب الملك أن من حق اليهود أن يعيشوا طبقا لشريعة آبائهم وما جاء فى التوراة، وتم الاعتراف بشمعون العادل زعيما لليهود وكاهنا أكبر وممثلا للدولة السلوقية فى أورشليم،(٤) وجرى إعفاء الكهنة من أداء ضريبة الرأس ومن أداء بعض الالتزامات الأخرى، وقد جاء فى بعض المصادر أن الملك أصدر قراراً يحرم على الأجانب دخول المدينة المقدسة، وإحضار أو تربية

(1) Josephus Antiquites. XII, 131. tr. Louis H. Feildman L.C.L. (1969)
عن الحكم السلوقى فى فلسطين ، أنظر بشكل عام.
Taylor, James. Ellis; Seleucid Rule in Palestine. Duke University, Ph, D. (1979).

(2) Tcherikover, Victor; Hellenstic Civilization and the Jews. New York (1979). p. 76.
يرى جرانت Grant أن ترحيب اليهود بالحكم السلوقى يرجع إلى رغبتهم فى أن يعيشوا فى دولة واحدة مع يهود بابل. Grant, Michael; The History of Ancient Israel. New York. (1984). P. 204.

(3) Russell, D; The Jews from Alexander to Herod. Oxford (1967), p.23.
قدم الباحث تايلور دراسة مفصلة عن خطاب أنطيوخس الثالث لليهود. Taylor; op. cit., pp. 51-107.

(4) Josephus Ant. XII, 138-144.; Austin, Michel; The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest. Second ed. Cambridge. (2006), pp. 380-2.

الحيوانات التى يعتبرها اليهود نجسه، وفرض غرامة مالية كبيرة مقدارها ثلاثة آلاف درخمة يدفعها المخالفون إلى سدنة الهيكل،[١] وبشكل عام يمكن القول بأن الملك منح اليهود حكما ذاتيا فى إطار الدولة السلوقية، تحت زعامة الكاهن الأكبر. وقد استمر هذا الوضع لما يقرب من عشرين عاما دون حدوث ما يعكر صفوه.

عندما تولى سلوقس الرابع *Seleucus IV* فى عام ١٨٧ سار على نهج والده تجاه اليهود، وحرص على إرسال الأضاحى لكى تقدم فى الهيكل،[٢] ولكن المتاعب أخذت تطل برأسها فى الفترة الأخيرة من عهد هذا الملك، وكان السبب فى هذه المتاعب صراعات ما بين اليهود أنفسهم.[٣]

تمثلت البداية الأولى للمشاكل فى ذلك الصراع الذى نشب بين الكاهن الأكبر حونيو الثالث *Onias III*، وشخص يدعى شمعون كان مشرفا على الشئون المالية للهيكل،[٤] وقد أراد هذا الأخير أن يتولى منصب المشرف على الأسواق *agoranomos* فذهب إلى أبوللونيوس *Apollonios* حاكم إقليم جوف سوريا وفينيقيا السلوقى ، وكشف له عن مدى ضخامة الكنوز التى توجد فى هيكل أورشليم،[٥] وأقنعه أن تلك الأموال من حق الملك السلوقى.[١]

---

(1) Josephus Ant. XII, 145-146.

(2) 2 Macc. 3, 3.

"وحتى سلوقس ملك أسيا فإنه تحمل كل تكاليف نفقات أضاحى العبادة على نفقته الخاصة".

(3) Tcherikover, V; op. cit., p. 136.

(4) 2 Macc. 3, 4.; Austin; op. cit. p. 383.

ينتمى شمعون إلى طائفة الكتبة ، وهى طائفة إزداد نفوذها لكون أفرادها هم مفسروا التوراة ، وكان شمعون العادل هو أول من قام بتنظيم هذه الفئة وأصبحت تتمتع بنفوذ كبير فى الشئون الدينية والقضائية إنظر:

Tcherikover, V; op. cit. p. 125.

(٥) كان الهيكل يعد بمثابة مصرف مالى ، يقوم اليهود بإيداع أموالهم فيه ، ويبدو أن الإيدع لم يكن يقتصر على يهود فلسطين ؛ بل كان يشمل ودائع يهود آسيا وأوربا كما يقول جوزيفوس ، وكانت الودائع تشمل أموال هيركانوس بن يوسف بن طوبيا الثرى اليهودى ، والذى كان مواليا للبطالمة ، أنظر:

سال لعاب الملك السلوقى أمام هذا العرض، لأنه كان يعانى متاعب مادية تحول بينه وبين سداد أقساط الغرامة المالية التى فرضها الرومان بمقتضى صلح أباميا، وعلى الفور أصدر تعليماته إلى وزيره الأول هليودوروس *Heliodoros* بأن يصادر كنوز الهيكل لصالح الخزانة الملكية، وتنفيذا لأوامر الملك تظاهر الوزير بأنه ينوى القيام بجولة تفقدية فى إقليم جوف سوريا وفينيقيا، وأخفى هدفه الحقيقى، وهو مصادرة أموال الهيكل، وعندما وصل إلى أورشليم حرص الكاهن الأكبر على استقباله بحفاوة شديدة، ولم يلبث الوزير أن كشف عن نواياه الحقيقية، وقال أنه ترامى إلى سمعه الكثير عن كنوز الهيكل . وأنه يرغب فى التثبت من صحة هذه الأنباء، فبادره الكاهن الأكبر بالقول بأن كنوز الهيكل ما هى إلا ودائع للأرامل والأيتام لدى الهيكل، وأنه لا يستطيع أن يسلمها لأحد.[٢]

يستطرد الكتاب الثانى للمكابيين فى ذكر هذه الرواية؛ فيذكر أنه فى اليوم الذى تقرر أن يقتحم فيه هليودوروس الهيكل سيطر الحزن على أورشليم، وارتدى الكهنة ملابسهم التقليدية، واصطفوا أمام المذبح، وراحوا يتضرعون للرب أن يحفظ الهيكل وكنوزه من كل سوء، وقد استجاب الرب لدعائهم، وعندما هم الوزير بدخول الهيكل هاجمته الملائكة وأجبرته على الخروج من الهيكل،[٣] فعاد إلى أنطاكية خالى الوفاض.

ويرى تشيريكوفر *Tcherikover* أن هليودوروس ربما يكون قد توصل إلى اتفاق مع الكاهن الأكبر يقضى بعدم اقتحام الهيكل، وأنه اخترع قصة الملائكة التى هاجمته حى لا يتعرض للمحاكمة لعدم تنفيذ أوامر الملك.[٤] وبعد عودة هليودوروس إلى إنطاكية لم تتوقف محاولات شمعون للإساءة إلى الكاهن الأكبر، فراح يردد أن هذا الأخير قد توصل إلى اتفاق مع هيلودوروس، وأن هذا الاتفاق

Josephus Ant. XIV, 110.; Tcherikover, V; op. cit. p. 120, 125.; Russell, D; op. cit., p. 35.

(1) 2 Macc,. 3, 5-6.; Taylor; op. cit. p. 75.

(2) 2 Macc,. 3, 8-10.; Grant, M; op. cit. p. 205.

(3) 2 Macc. 3, 14-28.; Bartlett, J., op. cit. p. 239.

(4) Tcherikover, V; op. cit. p. 158.

يلحق ضررا بليغا بمصالح الدولة السلوقية، وكان هذا الاتهام على درجة عالية من الخطورة، مما دفع سلطات أنطاكية إلى أن تطلب من الكاهن الأكبر أن يقدم تفسيراً لهذا الأمر، كما شهدت أورشليم حالات من النزاع المسلح والاغتيالات، وأخذت المدينة تنزلق نحو حرب أهلية بدا فيها شمعون وأنصاره هم الأقوى، وأخذ أبوللونيوس حاكم جوف سوريا يتأهب للتدخل لوضع حد لهذه الاضطرابات، ومن ناحيته قرر الكاهن الأكبر حونيو أن يشد الرحال إلى أنطاكية لكى يشرح للملك وجهة نظره، ويقول الكتاب الثانى للمكابيين "أنه لم يذهب لكى يقدم الاتهام ضد أحد فى المدينة، بل سافر من أجل مصلحة الأمة بأسرها".(١)

فجر تصرف الكاهن الأكبر مشاعر الكراهية الكامنة فى نفوس اليهود ضد السلطة المركزية فى أنطاكية ، لأن هذه السلطة دأبت على التدخل فى شئونهم الداخلية، أما الملك فإنه لم يصدق دفاع الكاهن الأكبر، وقرر احتجازه فى أنطاكية، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ اليهود التى يتم عزل الكاهن الأكبر عن طريق قوة خارجية، وكان ذلك بإيعاز من اليهود المتأغرقين، ويبدو أن قرار حونيو بالتوجه إلى أنطاكية كان قرار خاطئا، لأنه ترك الساحة خالية أمام خصومه للإساءة إليه،(٢) ولم تلبث الدولة السلوقية أن شهدت تطوراً مهما، تمثل فى مصرع الملك سلوقس الرابع على يد وزيره هليودوروس فى عام ١٧٥.(٣)

٤ . سياسة أنطيوخس الرابع فى فلسطين

تولى أنطيوخس الرابع (إبيفانيس) *Epiphanes* العرش بعد مقتل شقيقه ببضعة شهور كما سلف القول، ولم يلق توليه العرش ترحيبا من بعض اليهود ويذكر المؤرخ يوسف أن أحد أثرياء اليهود قد

(1) 2 Macc,. 4, 5-6.

(2) 2 Macc,. 4, 1-4.

(3) C. A. H. VIII. p. 496; Bevan, E; op. cit. II. p. 152.

مفيد العابد، سورية فى عصر السلوقيين، من الإسكندر حتى بومبيوس، دمشق (١٩٩٣)، ص ١٢٠

انتحر عند سماعه نبأ تولى أنطيوخس الرابع العرش،(١) وهذا الرجل يدعى هيركانوس *Hyrcanos*، وهو ينتمى إلى عائلة طوبيا ذات الثراء العريض، وكان الرجل يتمتع بمكانة كبيرة فى منطقة شرق الأردن، ويقال أنه قد أودع أموالاً طائلة فى الهيكل، ويبدو أنه اعتقد أن هذه الأموال التى كتبت لها النجاة فى عهد سلوقس الرابع لن تنجو من المصادرة فى عهد الملك الجديد.

وتجدر الإشارة إلى أن الفترة القادمة من تاريخ اليهود سوف تشهد تنافساً حاداً بين أكبر عائلتين فى أورشليم، وهما عائلة حونيو *Oniads* التى كانت تحتل منصب الكاهن الأكبر لأجيال طويلة، وإلى جانب ذلك فقد كانت أسرة غنية جداً، وكان ينتمى إليها جونيو الثالث الكاهن الأكبر آنذاك، والذى كان يشغل هذا المنصب بشكل وراثى،(٢) أما العائلة الثانية فهى عائلة طوبيا الشديدة الثراء، وكان كبيرها يوسف بن طوبيا يتولى جباية الضرائب لصالح البطالمة فى إقليم جوف سوريا(٣) ويتمتع بمكانة كبيرة فى البلاط السكندرى، وظل يقوم بجباية الضرائب فى إقليم جوف سوريا لمدة إحدى وعشرين عاماً. ومن ناحية أخرى كان يوسف بن طوبيا يتمتع بمكانة طيبة فى أورشليم حيث كانت والدته شقيقة الكاهن الأكبر حونيو الثانى.(٤)

وتتضح مكانة يوسف بن طوبيا من خلال أحد المواقف التى تعرض لها اليهود عندما كانوا ما يزالون تحت الحكم البطلمى، فحين عجز الكاهن الأكبر حونيو الثانى عن إرسال الجزية المقررة على اليهود إلى مصر، غضب الملك البطلمى، فعرض يوسف بن طوبيا أن يذهب إلى الإسكندرية

(1) Josephus Ant. XII, 236.

(2) Schurer, Emil; The history of the Jewish People in the age of Jesus Christ. A new English version revised and edited by Geza Vermes and Fergus Miller. Edinburgh. (1973), p. 148.

(٣) ورد ذكر هذه العائلة فى أوراق البردية البطلمية، أنظر: P.C.Z. 59003. عن العلاقة بين عائلة طوبيا والبلاط السكندرى، أنظر:

Tcherikover, V; Palestine undetr the Potlemies. Mizraim. (1937), vol. IV-V, pp. 14-2.

(4) Russell, D; op. cit., p. 21.

نائبا عن اليهود لكى يحل هذه المشكلة، ونجح فى تهدئة ثورة الملك البطلمى،[١] وحاز إعجاباً كبيراً فى البلاط السكندرى، وقد تمكن من خلال قيامه بمهمة جباية الضرائب فى فلسطين من تحقيق ثروة هائلة، وأصبح الممثل السياسى للبطالمة فى فلسطين، وقد تأثر يوسف بن طوبيا بالحضارة الهللينيستية بشكل واضح بسبب علاقته بالإسكندرية، عاصمة الحضارة الهللينيستية، وليس من المستغرب أن يميل أبناء يوسف طوبيا إلى الحضارة الهللينيستية أيضاً، أولا: لأنهم تأثروا بوالدهم وثانياً بسبب انشغالهم بالتجارة، وكثرة تعاملهم مع الأجانب، ومن المعروف أن التجار فى كل المجتمعات لديهم القدرة على تقبل الثقافات الواردة أكثر من غيرهم من الفئات الأخرى فى المجتمع، لذلك كان أبناء يوسف بن طوبيا سندا قوياً لحركة الأغرقة فى المجتمع اليهودى، ويعبر الكتاب الأول للمكابيين عن هذا الأمر قائلاً: "فى مثل هذه الأيام جاء رجال من إسرائيل وضللوا الكثيرين، وقالوا دعونا نقيم علاقات مع الأغيار الذين حولنا، لأننا مادمنا نعزل أنفسنا عنهم فإن الكثير من الشرور سوف تحل بنا".[٢]

Ἐν ταῖς ἡμέραις ἐκείναις ἐξῆλθον ἐξ ισραηλ υἱοὶ παράνομοι καὶ ἄνεπεισαν πολλους λεγοντες Πορευθωμεν καὶ διαθώμεθα διαθήκην μετα τῶν ἐθνῶν τῶν κύκλω ἡμῶν, ὅτι ἀφ ἧς ἐχωρίσθημεν ἀπ᾽ ἀυτων, εὗρεν ἡμᾶς πολλά.

وبعد وفاة يوسف بن طوبيا دب الخلاف بين أبنائه ، وعندما سقطت فلسطين فى أيدى السلوقيين ، ظل الابن الاصغر هيركانوس على ولائه للبطالمة، بينما انحاز أشقاؤه إلى السلوقيين، وانقسم

(1) Tcherikover, V. op. cit. p. 127.

(2) 1 Macc. 1. 11.; Grant, op. cit. p. 205.

اليهود فى أورشليم ما بين مؤيد لهيركانوس ومعضد لأشقائه،[١] فآثر هيركانوس أن ينسحب إلى شرق الأردن، حيث بقى فيها حتى مات منتحرا عندما تولى أنطيوخس الرابع العرش السلوقى.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو متى بدأ تدخل أنطيوخس الرابع فى الشئون الداخلية لليهود؟ وما هى الأسباب التى دعته إلى هذا التدخل؟ يجيب تشيريكوفر على هذا السؤال قائلا: "أن أنطيوخس الرابع لم يقدم على التدخل فى شئون اليهود إلا بعد أن وجد الطريق أمامه ممهدا بواسطة اليهود أنفسهم، فإن سياسة الأغرقة لم تفرض على اليهود عن طريق قوة خارجية، بل بواسطة اليهود، ومما هو جدير بالذكر أن عائلة حونيو لم تكن تقل حماسة عن عائلة طوبيا فى الميل إلى الحضارة الإغريقية.

يرى تشيريكوفر فى كتابه القيم عن اليهود والحضارة الهللينيستية أن حركة الأغرقة كانت مرحلة من مراحل التطور الداخلى للمجتمع اليهودى، وهو يطرح سؤالا عن هوية هؤلاء الذين قادوا هذه الحركة، والأسباب التى دعتهم إلى الاتجاه نحو الأخذ بالحضارة الإغريقية، ويجيب هذا الباحث عن السؤال الذى طرحه بأن هؤلاء الذين تبنوا الحضارة الإغريقية كانوا يدركون أنها تتفوق على مثيلتها اليهودية، وتجدر الإشارة إلى أن حركة الاتجاه إلى الأغرقة كانت ذات أبعاد اجتماعية، فإن دعاة الأغرقة لم يكونوا ينتمون إلى كافة الطبقات، بل انحصروا فى الشريحة العليا من المجتمع اليهودى، وهى الفئة ذات النفوذ فى البلاد، ولكن كيف بدأت حركة الأغرقة، فى المجتمع اليهودى؟ ومن هو الشخص الذى وضع البذور الأولى لحركة الأغرقة فى المجتمع اليهودى؟.[٢]

أشرنا من قبل إلى أن الكاهن الأكبر حونيو الثالث قد اضطر إلى الذهاب إلى أنطاكية لكى يدافع عن نفسه أمام الملك سلوقس الرابع[٣] بسبب الاتهامات التى وجهها إليه شمعون، وأن الملك لم

(1) Josephus Ant. 228ff.

(2) Tcherikover, V. op. cit. p. 118.

(٣) يرى تارن Tarn أن الكاهن الأكبر ربما ذهب إلى العاصمة لكى يشكو إلى الملك متاعبه مع عائلة طوبيا، انظر:

يقتنع بما قدمه الكاهن الأكبر من دفاع فاحتجزه فى أنطاكية، وظل حونيو الثالث فى إنطاكية حتى آل العرش إلى أنطيوخس الرابع، وعلى الرغم من اختفاء شمعون من مسرح الأحداث فإن ذلك لم يؤد إلى هدوء الأحوال فى أورشليم، فقد توجه شقيق الكاهن الأكبر يشوع *Joshua* الذى تخلى عن اسمه اليهودى واتخذ اسما إغريقيا هو "ياسون" *Joson* إلى الملك طالبا تعيينه فى منصب الكاهن الأكبر،(١) وكان من أشد المتحمسين لتيار الأغرقة، ويتمتع بدعم أسرة طوبيا،(٢) وقد وعد ياسون الملك الجديد (أنطيوخس الرابع) بأن يزيد مقدار الجزية التى يدفعها اليهود للدولة السلوقية، وأن يدفع مبلغ ١٥٠ تالنت فى مقابل السماح له بإقامة جمنازيوم *gymnasium* فى أورشليم، وبأن يدخل إلى المدينة نظام الشبيبة *ephebia* الأغريقى، لكى يتم تعليم الصبية اليهود وتنشأتهم على هذا النظام الإغريقى، كما طلب ياسون من الملك أن يسمح له بتحويل مدينة أورشليم إلى مدينة إغريقية *Polis*، على أن تحمل اسم أنطاكية، ويحمل مواطنوها اليهود لقب "أنطاكيون".(٣)

ويرى بعض الباحثين أن ياسون كان يهدف من وراء إطلاق اسم "الأنطاكيون" على سكان أورشليم أن يتمتع اليهود من سكان أورشليم بنفس الامتيازات التى يتمتع بها سكان أنطاكية، بينما

Tarn, W; op. cit. 214.

(1) 2 Macc. 11. 41ff.; Grant, M.; op. cit. p. 207; Roth, Cecil; A Short History of the Jewish People. London. (1953). p. 67.

(2) Russell, D; op. cit., p36.

(3) 2 Macc. 4, 7-9; Grant, M.; op. cit. p. 207; Schurer, E; op. cit. p. 148.
يرى ماركولم أن لقب "الأنطاكيون" لم يكن مقصودا به كل سكان أورشليم بل فئة منهم يشكلون طائفة محددة أو جالية Paliteuma، انظر: Mørkholm, Otto; op. cit. p. 138.n. 12. ناقش الباحث سيت شفارتز Seth Schwartz فى بحثه المتضمن فى المجلد الذى أشرف عليه جودمان Goodman الآثار التى ترتبت على تحويل أورشليم إلى مدينة إغريقية من الناحية القانونية والإدارية والدينية والاجتماعية مع مقارنة أورشليم بما حدث فى مدن أخرى ، أنظر:
Goodman, Mortin; Jews in the Graeco-Roman World. Oxford. (1998), pp. 37-45.

يرى البعض الآخر أن الهدف من هذه الخطوة هو مجرد إيجاد تعاون ما بين أورشليم وأنطاكية وبخاصة فى مجال الجمنازيوم.(١)

وتجدر الإشارة إلى أن ياسون فى محاولته للتقرب من الملك السلوقى راح يعزف على الوتر الحساس لدى السلوقيين، فأتهم الكاهن الأكبر حونيو الثالث بأنه كان مواليا لمصر، وأن خير دليل على ذلك أنه ساند هيركانوس بن يوسف بن طوبيا فى صراعه مع أشقائه وكان معروفا للكافة أن هيركانوس كان مواليا لمصر.

استجاب أنطيوخس الرابع على الفور لطلب ياسون، ووافق على تعيينه فى منصب الكاهن الأكبر لهيكل أورشليم،(٢) وكان هذا مخالفاً للأعراف اليهودية، فهى المرة الأولى التى يقوم فيها شخص بشراء هذا المنصب من الملك، وهذا يعنى أن الكاهن الأكبر أصبح مجرد موظف حكومى يقوم الملك بتعيينه(٣) أما الملك فقد سعد بهذا الأمر، لأن الدولة سوف تجنى فوائد مادية من ورائه، ومن ناحية أخرى فقد رأى فيها الملك فرصة لإدخال الحضارة الإغريقية إلى جانب من رعاياه. وينبغى ألا يغيب عن بالنا أن أنطيوخس الرابع كان ما يزال حتى تلك اللحظة حديث عهد بالشرق، وكانت نظرته إلى العالم من خلال الحضارة الإغريقية والرومانية المألوفة له، ولم يكن يدرك مدى خصوصية العقيدة اليهودية، وليس هناك ما يدعوه إلى عدم الثقة فى ياسون؛ وهو اليهودى الذى ينتمى إلى عائلة عريقة، ويرغب فى إدخال الحضارة الإغريقية إلى قومه، لذلك فلم يتردد أنطيوخس لحظة واحدة فى تعيينه فى منصب الكاهن الأكبر لهيكل أورشليم، ويرى الباحث ماركولم

(1) Tcherikover. V; op. cit., p. 160.

(2) Bright, John; A History of Israel revized edition, London. (1972), p. 422.; Taylor, J.; op. cit. p. 96.

(3) Tcherikover. V; op. cit., p. 160-1.; Russell, D; op. cit., p. 37.

Mørkholm أنـه حتـى تلـك اللحظـة لـم تكـن لـدى الملـك السـلوقى رؤيـة شـاملة تهـدف إلـى إدخـال الحضارة الإغريقة إلى المملكة.(١)

عاد ياسون إلى أورشليم، وراح يعمل بهمة على إضفاء الطابع الإغريقى على المدينة، وتم بناء جمنازيوم بالقرب من قلعة المدينة، ويقول الكتاب الأول للمكابيين: "هكذا فإنهم بنوا جمنازيوم فى أورشليم طبقا لعادات الأغيار".(٢)

καὶ ωκοδόμησαν γυμνάσιον ἐν Ιερσολύμοις κατα νόμιμα τῶν ἐθνῶν.

وأخذ شباب أورشليم يمارسون التدريبات فى الجمنازيوم وهم عرايا طبقاً للتقاليد الإغريقية، ويذهب الكتـاب الثـانى للمكـابيين إلـى القـول بـأن الكهنـة أيضـا تركـوا واجبـاتهم فـى الهيكـل والتحقـوا بالجمنازيوم،(٣) ولكنهم كانوا يشعرون بالخجل لوجود علامة الختان فكانوا يعمدون إلى إخفائها.

και ἐποιησαν ἑαυτοῖς ἀκροβυτίας καὶ ἀπέσησαν ἀπο διαθήκης ἁγίας καὶ ἐξευγισθησαν τοῖς ἔθνεσιν καὶ ἐπραθησαν τοῦ ποιῆσαι τὸ πονηρόν.

(1) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 138.; Shurer, E; op. cit. p. 148.

(2) 1 Macc. 14.; 2 Macc. 4. 12.

يرى جوزيفوس أن إنشاء الجمنازيوم تم فى عهد منيلاوس وليس ياسون، انظر:
Jpsephos. Ant. XII, 240, 241.

(3) 2 Macc. 4, 14.

والمؤلف هنا يصف اليهود الذين التحقوا بالجمنازيوم بأنهم اتبعوا الأغيار، وباعوا أنفسهم للشيطان،[١] والحقيقة أن القول بأن الكهنة تركوا واجباتهم فى الهيكل والتحقوا بالجمنازيوم هو قول ينطوى على الكثير من المبالغة، ولكنه إن دل على شئ فإنه يدل على مدى ما حققته حركة الأغرقة فى عهد ياسون من نجاح.[٢]

كان على ياسون أن يقوم بإعداد قوائم بأسماء الأشخاص الذين يستحقون أن يحملوا شرف عضوية مواطنى أنطاكية، فليس من المتصور أن يصبح كل سكان أورشليم مواطنين *Politai*، للمدينة الإغريقية (أنطاكية)، لأن طبيعة تكوين المدينة الإغريقية من الناحية القانونية تقتضى أن تكون لها هيئة مواطنين ، وأن يكونوا مسجلين فى قوائم، ولما كان وجود مجلس الشورى *Boule* أمرا ضروريا فى المدينة الإغريقية فإن المرجح أن يكون مجلس الكبار *Gerousis*، عند اليهود، هو الذى حل محل مجلس الشورى.[٣]

أثار ياسون حفيظة المتدينين من اليهود حين أرسل وفداً يمثل "الأنطاكيون فى أورشليم" للمشاركة فى احتفالات الإله هرقل فى مدينة صور،[٤] والحقيقة أن الرغبة فى المشاركة فى هذا العيد الوثنى لم يكن الدافع من ورائها تحية أهل مدينة صور، بل إرضاء الملك أنطيوخس الرابع الذى كان مشاركا فى الاحتفال.

---

(1) 1 Macc. 1, 15.

(2) C.A. H. VIII. p. 202.

(3) Tcherikover, V; .op. cit., p. 162.

(4) 2 Macc. 4. 18-19.; McCullough, Wiliam Stewart; The History and Literature of the Palestinain Jews form Cyrus to Herod. 550 B.C. to 4 B.C. Toranto (1077), p. 113.

وهذا الاحتفال كان يقام كل خمس سنوات ويشبه الأعياد الأوليمبية، وقد حمل الأنطاكيون معهم مبلغ ٣٠٠ درخمة من أجل تقديم القرابين للإله هرقل.

والواقع أن الإجراءات التى أقدم عليها ياسون لا يمكن اعتبارها مجرد تغيير فى النظم السياسية والدينية المألوفة فى أورشليم؛ بل هى إلغاء كامل للقوانين المتوارثة فى المدينة، مما يعد مخالفة للوعد الذى كان أنطيوخس الثالث قد قطعه على نفسه، بأن يسمح لليهود بأن يعيشوا طبقا لشرائعهم المتوارثة،(١) ويرى بعض الباحثين أن إجراءات تحويل أورشليم إلى مدينة إغريقية استغرقت قرابة العامين، وأن زيارة أنطيوخس الرابع للمدينة (ربما فى عام ١٧٢) كان الهدف منها تدشين هذه الإجراءات.(٢)

ويمكن القول أنه حتى هذه اللحظة فإن إقامة مثل هذه المؤسسات فى أورشليم لم يمس العقيدة اليهودية، وحتى الوفد الذى أرسله ياسون إلى صور للمشاركة فى الاحتفال بأعياد الإله هرقل؛ لم يدفع المال الذى حمله معه من أجل تقديم الأضاحى للإله الوثنى بل قرر فى النهاية أن يقدم المال من أجل إصلاح سفن مدينة صور.(٣)

قام أنطيوخس الرابع بزيارة أورشليم، حيث لقى استقبالا رائعاً، فدخل المدينة يحف به حملة المشاعل، وشق طريقه بصعوبة بالغة بين الجموع التى كانت تهلل وترتل الأناشيد.(٤) ولكن على الرغم من كل ذلك فإن ياسون ما لبث أن فقد مكانته لدى الملك السلوقى،(٥) ففى عام ١٧٢ (أو ١٧١) أقدم ياسون على خطوة لم يلبث أن دفع ثمنها غاليا حين أرسل شخصاً يدعى منيلاوس

(١) راجع الدراسة الرائعة التى قام بها تيلور لخطاب أنطيوخس الثالث والتى أشرنا إليها من قبل:
Taylor, J. E; op. cit., pp. 51-107.

(2) Tcherikover, V; .op. cit., p. 165.

(3) 2 Macc. 4, 18-20.

(4) 2 Macc. 4, 22.

(5) Bright, John; op. cit. p. 422.

Menelaus[١]، إلى الملك أنطيوخس الرابع لكى يدفع له الجزية المقررة، وانتهز منيلاوس هذه الفرصة لكى يزكى نفسه عند الملك طمعاً فى إزاحة ياسون وتولى منصب الكاهن الأكبر، وقال له أنهم (أى اليهود) لا يريدون تطبيق قوانينهم، بل يرغبون فى العيش طبقاً لقوانين الملك، وأنهم يريدون أن يكون لهم شكلاً إغريقيا للحكم.[٢]

Ἑλληνικὴν πολιτειαν ἔχειν.

وقد وعد منيلاوس الملك بأنه سوف يزيد مقدار الجزية التى يدفعها اليهود للملك، إذا ما تم تعيينه فى منصب الكاهن الأكبر.[٣] وقد لقى هذا العرض ترحيبا من الملك السلوقى، وذلك نظرا لحاجته الشديدة للمال، لكى يستمر فى دفع الغرامة المقررة على الدولة السلوقية من قبل الرومان، لذا سارع بإصدار قرار بتعيين منيلاوس فى منصب الكاهن الأكبر لهيكل أورشليم،[٤] وتم خلع ياسون الذى فر إلى بلاد العمونيين عبر الأردن.[٥]

---

(١) يرى تارن Tarn أن مينلاوس لم يكن يحظى بتأييد عائلة طوبيا فقط، بل ربما كان واحدا من هذه العائلة، أنظر: Tarn, W; op. cit. 214، وقد ورد رأى آخر عند رسل Russel وهو أن طوبيا على الرغم من تأييدها لياسون من قبل فإنها رأت أن خطواته نحو إدخال الأغرقة لا ترضيها فاستبدلته بمنيلاوس راجع: Russell, D; op. cit. 37. وقد ثار جدل حول أصل منيلاوس، أنظر: Schurer, E; op. cit. p. 149.

(٢) لذلك يرى جوزيفوس أن حركة الأغرقة فى أورشليم بدأت على يد منيلاوس وليس ياسون Jpsephos. Ant. XII, 240, 240.

(3) Grant, M; op. cit. p. 208.

من المعتقد أن الدولة السلوقية كانت تحصل على مبلغ ٣٠٠ تالنت كجزية *Phoros* سنوية من أورشليم ، وأن ياسون قد زاد هذا المبلغ إلى ٣٦٠ أما منيلاوس فقد ضاعف هذا المبلغ وأوصله إلى ٦٦٠ تالنت، أنظر: Taylor, J. E; op. cit., p. 97.

(4) Ruth, C; A Short History of the Jewish People. London. (1953), p. 67.

(5) 2 Macc. 4, 23-26.; Schurer, E; op. cit. p. 149.

بعد عودته إلى أورشليم بدا منيلاوس عاجزاً عن الوفاء بوعده للملك، فطالبه قائد القلعة فى أورشليم بتسديد ما عليه من التزامات، وكان قائد القلعة هو المسئول عن تحصيل مستحقات الدولة من الكاهن الأكبر، وقد اضطر الملك أنطيوخس الرابع إلى استدعاء منيلاوس وقائد القلعة إلى أنطاكية.(١)

والحقيقة أن تدخل الدولة فى أورشليم لم يأخذ جانبا كبيرا من اهتمام الناس، فلم يشغلهم كثيرا خلع حونيو وتعيين ياسون فى البداية، وليس هناك ما يدل على أن سياسة الأغرقة التى فرضها ياسون كانت لها ردود أفعال، ولم تلق الغالبية العظمى من الناس بالا لما كان يفعله المتأغرقون، طالما أن أحدا لم يمس شئونهم الدينية، وبعد فرار ياسون اتضح أن عدد المتعاطفين معه فى أورشليم لم يكن قليلا، وبخاصة بين أفراد الطبقة العليا فى المجتمع اليهودى.(٢)

وتجدر الإشارة إلى أن عملية تعيين منيلاوس فى منصب الكاهن الأكبر أدت إلى اهتزاز الأوضاع فى أورشليم، فعلى الرغم من انتمائه إلى فئة المتأغرقين، شأنه فى ذلك شأن ياسون، إلا أن هذا الأخير كان ينتمى إلى عائلة عريقة، وكان لهذه العائلة تاريخ طويل فى شغل منصب الكاهن الأكبر، لذلك فإن منيلاوس لم يكن يحظى باحترام مواطنيه، الذين لم ينسوا له أنه حصل على منصبه عن طريق الوعد بدفع مقدار أكبر من الجزية، ثم عجز بعد ذلك عن دفع ما وعد به، وكان السبيل الوحيد أمامه لتحقيق ذلك هو زيادة الضرائب على الناس، والحفاظ على سلطته عن طريق استخدام القوة، لذلك وصفه الكتاب الثانى للمكابيين بأنه طاغية لا نظير له "له مزاج الطاغية المتجبر وغضب الحيوان المتوحش".(٣)

(1) 2 Macc. 4, 27-28.

(2) Tcherikover, V; op. cit. p. 171.

(3) 2 Macc. 4, 25.

عندما ذهب منيلاوس ومعه قائد القلعة إلى أنطاكية لم يكن الملك موجودا فى العاصمة، وكان فى رحلة فى كيليكيا *Cilicia*، وكان نائبه فى أنطاكية أحد القادة ويدعى أندورونيكوس *Andronicos*، وحتى يحصل منيلاوس على دعم هذا النائب فإنه لجأ إلى رشوته، عن طريق إعطائه بعض القطع الذهبية من مقتنيات الهيكل، كما قام ببيع قطع أخرى من تلك المقتنيات فى أسواق مدينة صور، حتى يتمكن من دفع الأموال المطلوبة منه للملك.(١)

كان حونيو الثالث الكاهن الأكبر السابق ما يزال يعيش فى أنطاكية، وكان منيلاوس يدرك تماماً أن الجميع يرون أن حونيو هو الكاهن الشرعى، وأنه ينتظر الفرصة لكى يعود إلى منصبه فى أورشليم، وقد تناهى إلى أسماع حونيو أمر الانتهاكات التى أقدم عليها منيلاوس، فانسحب إلى ضاحية دافنى *Daphne* بالقرب من أنطاكية، وأعلن استنكاره لكل ما أقدم عليه منيلاوس، وبات حونيو مصدر إحراج وإزعاج لمنيلاوس، لذلك فقد حرض نائب الملك على التخلص منه، فاستجاب له وذهب إليه فى دافنى وأقسم له أنه سيكون فى أمان إذا خرج من المعبد، وعندما صدقه المسكين وخرج من المعبد بادر بقتله.(٢)

أثار هذا التصرف الخسيس مشاعر الاستياء فى أنطاكية، وعندما عاد الملك من رحلته قدم له يهود أنطاكية شكوى ضد أندرونيكوس بسبب قتله الكاهن الأكبر، فثار الملك ثورة عارمة،(٣) وأمر بإحضار الرجل وتجريده من عباءته وتمزيق ملابسه، وأن يطوف فى الشوارع وهو على هذه الحالة، حتى يصل إلى المكان الذى قتل فيه حونيو، وأن يتم إعدامه فى نفس البقعة،(٤) أما منيلاوس فقد أفلت من العقاب وهرول إلى أورشليم.

---

(1) 2 Macc. 4, 33; Russel, D; op. cit. p. 38.

(2) Schurer, E; op. cit. 150.

(٣) ربما كانت ثورة الملك مردها ليس إلى الحزن على الكاهن القتيل حونيو، بل إلى رغبته فى الاحتفاظ به كورقة يمكن استخدامها إذا اقتضى الأمر: Bartlett, J; op. cit. p. 252.

(4) 2 Macc. 4, 30-38.

فى أثناء غياب منيلاوس فى أنطاكية كان شقيقه لوسيماخوس *Lysimachus* يتولى تصريف الأمور فى أورشليم، وقد سار على درب شقيقه، وامتدت يده إلى الآنية الذهبية الموجودة فى الهيكل، وعندما علم الناس بذلك تفجرت فى المدينة انتفاضة عارمة، وحاول لوسيماخوس قمع الانتفاضة بالقوة، ولكنه لقى حتفه، وهى المرة الأولى التى تشهد فيها أورشليم صراعا مسلحا ما بين الشعب وسلطة الكاهن الأكبر الذى عينه أنطيوخس الرابع.(١)

تسببت السياسة التى اتبعها منيلاوس ضد مواطنيه فى إثارة موجة من الكراهية ضده، لذلك أتفق أعضاء مجلس الشيوخ *gerousia* على إرسال ثلاثة منهم لتقديم شكوى أمام المحكمة الملكية فى صور، وعندئذ لجأ منيلاوس إلى السلاح الفعال الذى اعتاد أن يلجأ إليه فى كل أزمة، وهو سلاح الرشوة، فقدم رشوة إلى حاكم إقليم جوف سوريا وفينقيا السلوقى لكى يتشفع له عند الملك،(٢) وقد أتت الرشوة أكلها، فتمت تبرئة منيلاوس، وأدين أعضاء الوفد الثلاثة، وصدر ضدهم حكم بالإعدام،(٣) وتم تثبيت منيلاوس فى منصب الكاهن الأكبر، ويقول الكتاب الأول والثانى للمكابيين "أن منيلاوس عاد إلى أورشليم لا باعتباره الكاهن الأكبر، ولكن باعتباره "المتآمر الأكبر"(٤) وازدادت الهوة اتساعا بينه وبين مواطنيه، وباتوا يتطلعون إلى زعيم يقودهم إلى الثورة ضد هذا الطغيان.

عصر الاضطهاد

تطلق المصادر اليهودية على السياسة التى مارسها أنطيوخس الرابع ضد اليهود اسم "جيزيروت" *Gezerot*، وهى كلمة تعنى "القرارات الشريرة"، والحقيقة أن هذه السياسة أثارت حيرة الباحثين ودفعتهم إلى التساؤل عن الأسباب التى جعلت رجلاً مثل أنطيوخس إلى أن ينهج هذا النهج، وهو

(1) 2 Macc. 4, 39-42.

(2) 2 Macc. 4, 45.; C.A.H. VIII, p. 504.

(٣) أقام مواطنو صور جنازة كريمة لهؤلاء الرجال لأنهم كانوا على يقين من أنهم كانوا ضحية للظلم والفساد.
2 Macc. 4. 49.

(4) 2 Macc. 4, 50.

الرجل الذى نشأ فى مناخ التسامح الدينى الذى يميز الحضارتين اليونانية والرومانية، وجعلته يقرر استبدال عبادة اليهود التى تقوم على التوحيد بعبادة الإله زيوس الأوليمبى.[١] وأن يتدخل لحرمان اليهود من ممارسة طقوسهم وعاداتهم التى ألفوها منذ عهود سحيقة، مثل إجراء الختان، وعدم العمل يوم السبت والتعامل مع هذه العادات كما لو كانت تشكل خطراً على الدولة.

ويحاول المؤرخ ديودور أن يقدم تفسيرا لموقف أنطيوخس من اليهود فيقول: "وحيث أن إبيفانيس قد دهش من الكراهية التى يحملها اليهود لكل الجنس البشرى، لذلك أخذ على عاتقه مهمة أن يحطم عاداتهم وممارساتهم".[٢]

إن الإجابة على هذا السؤال حول تطور علاقة الملك أنطيوخس الرابع باليهود تقتضى منا أن نحاول تتبع الأحداث التى أفضت إلى هذا التطور، فبعد اللقاء الذى تم بين منيلاوس والملك السلوقى بفترة وجيزة شرع الملك فى القيام بحملته الأولى على مصر فى خريف عام ١٧٠،[٣] وقد صمتت المصادر فلم توافنا بأخبار عن جودايا لمدة عام تقريباً، وبينما كان أنطيوخس فى مصر سرت إشاعة فى أورشليم بأنه لقى حتفه، وقد شجعت هذه الأنباء الكاهن الأكبر ياسون الذى كان قد هرب إلى شرق الأردن على الخروج من مكمنه، فانقض على أورشليم، وتمكن على رأس مجموعة

(1) Grant, M.; op. cit. p. 208.

(2) Diodoros, XXXIX/ V.1; Millar, Fergus; The Background to the Maccabaean Revolution, Journal of Jewish Studies, vol. XXIX. (1978). pp. 12-13.

(٣) يرى تشيريكوفر أن حملة أنطيوخس الأولى على مصر كانت فى عام ١٦٩ أما الحملة الثانية فكانت فى عام ١٦٨. Tcherikover, V; op. cit. p. 12. وقد خصص ماركولم فصلين كاملين من الكتاب الذى عالج فيه سيرة أنطيوخس الرابع والذى أشرنا إليه من قبل عن حملات هذا الملك على مصر، أنظر:

Mørkholm, Otto; op. cit. pp. 64ff.

عن الغزوتين اللتين قام بهما أنطيوخس الرابع فى السياق العام لتاريخ دولتى البطالمة والسلوقيين، أنظر:

Holble, G., op. cit. pp. 143ff.

Bevan, E., op. cit., pp. 126ff.

من أنصاره من الاستيلاء على المدينة، وهرب الكاهن الأكبر منيلاوس، ولجأ إلى الحامية السورية فى القلعة، وقام رجال ياسون بمذبحة ضد أنصار منيلاوس.(١)

اعتبر أنطيوخس أن ما حدث فى أورشليم من قبل ياسون وجماعته يمثل طعنة فى ظهره ، فهو من ناحية يعتبر تأييدا للبيت البطلمى الذى يشتبك معه فى حرب،(٢) ومن ناحية أخرى فهو تمرد على السلطة الشرعية التى تتمثل فى منيلاوس الذى قامت الدولة بتعيينه، لذلك قرر أنطيوخس معاقبة اليهود، وفى طريق عودته من مصر فى خريف عام ١٦٩ عرج على أورشليم، حيث سفك وسلب كنوز الهيكل ويقول الكتاب الأول للمكابيين "لقد دخل إلى الهيكل بغطرسة، وأخذ المذبح الذهبى، والشمعدانات المستخدمة فى الإضاءة وكل أدواتها".(٣)

καὶ εἰσηλθεν εἰς τὸ ἁγιασμα ἐν ὑπερηφανίᾳ και ἔλαβεν τὸ Θυσιαστήριον τοῦ χρυσοῦ καὶ την γυχνίαν τιῦ φωτος καὶ πάντα τα σκεύηἐυτῆς

وحزن اليهود فى كل مكان ويقول الكتاب الأول للمكابيين "أنه حتى الفتيات فى أعراسهن كن ينتحبن".(٤) أما أنطيوخس فلم ير فيما أقدم عليه أى مخالفة، بل اعتبره مجرد إجراء إدارى للحصول على الجزية التى كان ينبغى على الكاهن الأكبر أن يدفعها للدولة، وقد بلغ مقدار ما استولى عليه أنطيوخس ١٨٠٠ تالنت، وهو ما يساوى جزية ثلاث سنوات تقريبا، وأضطر ياسون إلى الفرار مرة

(١) فى إطار التدمير الذى قام به أنصار ياسون فإنهم أحرقوا أحد أروقة الهيكل، انظر:
2 Macc. 5, 5-6; Bartlett, J; op. cit., p. 257.

(2) Bevan, E; op. cit. p. 171; C.A.H. VIII. P. 506.

(3) 1 Macc. 1, 21.
يرى جوزيفوس أن نهب كنوز الهيكل قد تم فى أعقاب الغزوة الثانية لمصر، وليس الغزوة الأولى:
Joseph. Ant. XII, 249-50.

(4) 1 Macc. 1, 25, 27.

أخرى إلى شرق الأردن،[١] وبعد أن أحكم أنطيوخس قبضته على أورشليم أعاد منيلاوس إلى منصب الكاهن الأكبر، وعين حاكما عسكرياً على كل من أورشليم والسامرة، ثم قفل عائداً إلى عاصمته.[٢]

كان أنطيوخس يرى أن تدخله فى تعيين الكاهن الأكبر هو أمر مشروع، وأن هذا التدخل يأتى فى إطار ما تمليه مصلحة الدولة، ولا ينطوى على إنحياز إلى فئة دون أخرى ،وكانت مصلحة الدولة من وجة نظره تتمثل فى الحصول على أكبر قدر من الجزية، ولا يمكن توجيه اللوم إلى أنطيوخس لسماحه لكل من ياسون ومنيلاوس بالشطط فى الأخذ بالنظم الإغريقية فى أورشليم، لأن ذلك يتسق مع حبه الشديد للحضارة الإغريقية، وحماسه الحار للأخذ بها، كما أن الكثيرين من أبناء الطبقة العليا من اليهود أقبلوا على الأخذ بمظاهر الحضارة الإغريقية، وكانوا يرون أن ذلك كان كفيلاً بكسر العزلة التى ضربها اليهود حول أنفسهم، أما إقدام أنطيوخس على الاستيلاء على كنوز الهيكل، فهو من وجهة نظره مجرد إجراء أدارى لتحصيل قيمة الجزية المتأخرة على جودايا، كما أن تدخله فى الصراع بين ياسون ومنيلاوس، والانتصار لهذا الأخير، كان أمرا تستوجبه الرغبة فى المحافظة على السلام الداخلى فى إحدى ولايات الدولة، فى مواجهة التمرد الذى قام به ياسون حين قام بخلع الكاهن الأكبر (منيلاوس) الذى عينه الملك حتى لو كان هذا التعيين يعد خطئا سياسياً فى رأى البعض.[٣]

مما لاشك فيه أن الأيام أثبتت مدى عجز الإغريق والرومان من بعدهم عن فهم طبيعة اليهود، ويرى الباحث ماكلوج *McCullogh* أن خير مثال على ذلك أنطيوخس الرابع، فأنه على الرغم من

---

(١) يرى بعض الباحثين أن ياسون كان قد اضطر لترك المدينة قبل دخول أنطيوخس الرابع، وأن سكان أورشليم سيطروا على المدينة وسئموا من ياسون ومنيلاوس معا، أنظر: Bartlett, J; op. cit. p. 257.

(٢) يقول الكتاب الثانى للمكابيين أن ضحايا هذه الأحداث بلغ ٨٠ ألفا حيث قتل ٤٠ ألفا أما الباقون فقد تم بيعهم فى أسواق النخاسة، أنظر: 2 Macc. 5, 13-14.

(3) Mørkholm, Otto; op. cit. pp. 144.

أنه كان على قدر كبير من الثقافة، فإنه لم يدرك مدى التداخل بين النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية عند اليهود.[١] وقد فاته أن يضع فى اعتباره أن الديانة اليهودية تقوم على التوحيد، وتستند إلى ما جاء فى التوارة، وهو الأمر الذى يميز اليهود عن غيرهم من الشعوب الأخرى فى ذلك الوقت، وقد نظر الإغريق إلى تمسك اليهود بعقيدتهم وتراثهم على أنه نوع من ضيق الأفق، يدفعهم إلى ازدراء الآخرين، والتحقير من شأنهم، وأن ذلك يؤدى إلى تحدى القيم السمحة التى تمثلها الحضارة الهيللينستية، والحقيقة أن موقف أنطيوخس الرابع من اليهود يمكن تفسيره انطلاقاً من هذا الإطار، والأمر هنا يزداد حدة إذا ما أخذنا البعد السياسى فى الاعتبار أيضاً، فإن أنطيوخس كان ملكا يشعر بالمسئولية تجاه دولته.

جاء التصعيد فى الموقف ضد اليهود من قبل أنطيوخس الرابع عقب انتهاء حملته الثانية على مصر فقد خرج منها مهزوماً مكسور الوجدان، بسبب الطريقة المهينة التى أخرجه بها الرومان، والغطرسة التى تعامل بها معه المندوب الرومانى بويليوس لايناس *Popilius Laenas*،[٢] وفى طريق عودته علم بتجدد الاضطرابات فى أورشليم على الرغم من وجود القائد الذى عينه فى المدينة ويدعى فيليب *Philip*، ولم يكن فى هذه المرة فى حالة نفسية تسمح له بالتعامل مع المشكلة اليهودية بنفسه، وأراد أن يضع حلا نهائيا للمشكلة اليهودية، فقرر اتخاذ خطوة حاسمة، ولا بد أن ذلك كان بإيحاء من منيلاوس، فأرسل أحد قادته ويدعى أبوللونيوس *Apollonius*، إلى أورشليم لكى يضع حدا للاضطرابات،[٣] وعندما وصل أبوللونيوس إلى أورشليم تظاهر بأنه يحمل المودة والصداقة لليهود، وانتظر حتى حلول يوم السبت، وقرر أن يقتحم المدينة لأنه علم أن اليهود المتدينين لا يقاتلون فى يوم السبت، ثم انقض على المدينة على رأس قواته، وقام بقتل عدد كبير من

(1) McCullgh, W. S; The History and Literature of the Palestinian Jews from Cyrus to Herod. 550 B.C. to 4 B.C. Toronto. (1977). p. 113.

(2) C.A.H. VIII. pp. 284, 507; Polybius. XXIX. 27, 1-8.

(3) Russell, D; op. cit., p. 40-1.

الرجال، وتم استعباد النساء والأطفال،(١) ويقول الكتاب الأول للمكابيين "لقد نهب المدينة، وأضرم فيها النيران، وهدم منازلها والأسوار التى تحيط بها".(٢)

καὶ ἔλαβεν τὰ σκῦλα τῆς πόλεως καὶ ἐνεπρησεν αὐτὴν πυρὶ καὶ καθεῖλεν τοὺς οἴκους αὐτης καὶ τα τείχη κύκλῳ

وقام أبوللونيوس بعد ذلك ببناء جدار عازل ، يجمع اليهود المتأغرقين مع رجال الحامية ، ويعزلهم عن باقى اليهود.(٣) ومما لاشك فيه أن هذه المستوطنة اتخذت وضع المدينة الإغريقية *Polis* وحملت اسم "أنطاكية فى أورشليم"، وقد لقيت هذه الإجراءات معارضة قوية من اليهود المتدينين، مما أدى إلى وقوع حالات من العنف والاضطرابات، وفضل الكثيرون من سكان أورشليم الهرب

καὶ ἔφυγον οἱ κατοικοι Ιερουσαλημ δί αὐτούς

فصودرت ممتلكاتهم وتم توزيعها على سكان المستوطنة الجديدة. (٤)

وفى إطار الإجراءات العقابية التى إتخذها أنطيوخس الرابع ضد اليهود، فإنه أدخل نظاما جديدا لتحصيل مستحقات الدولة فى عام ١٦٧، فاستبدل نظام الجزية السنوية الذى كان الكاهن الأكبر يقوم بمقتضاه بتحصيل الضرائب من الأفراد ثم يعطيها للملك، وأحل محله نظاما جديدا وهو

(1) 1 Macc. 1, 30.

(2)1 Macc. 1, 31.

(3) 1 Macc. 1, 33, 34.

(4) 1 Macc. 1, 32, 38-40.

يرى بعض الباحثين أن إقدام سلطات أورشليم على مصادرة ممتلكات الفارين من سكان أورشليم وإعطائها لسكان المستوطنة الجديدة كان من أخطر الإجراءات التى اتخذت. Tcherikover, V; op. cit. p. 211.

ويرى "رُسل" أن هذه الإجراءات قد عمقت الهوة بين الأغنياء والفقراء. Russell, D; op. cit. p. 40.

التحصيل من الأفراد بشكل مباشر، ويقوم من خلاله موظفو الدولة بهذه المهمة، وكانت الضريبة مجحفة إلى حد كبير، فقد كانت تبلغ الثلث على إنتاج الحبوب، والنصف على إنتاج الفاكهة، وربما أراد من هذا النظام الجديد أن يعاقب اليهود لمعارضتهم لسياسة الدولة ، واعتراضهم على شخص الكاهن الأكبر الذى عينه.(١)

من الواضح أن أنطيوخس الرابع قرر من الآن فصاعدا أن يكون تدخله فى جودايا شاملاً من خلال الإجراءات التى قام بها وهدف من ورائها إلى توجيه ضربة إلى اليهود المتشددين، ويجمع كتابا المكابين الأول (1 Macc. 1, 41-51.) والثانى (1 Macc. 6, 1-2.) على أن المرحلة القادمة تمثل تحولا خطيرا فى سياسة أنطيوخس الرابع تجاه اليهود،(٢) فقد قرر الملك أن يقوم بتوحيد المملكة، وأصبح لزاما على الجماعات أن تتخلى عن عاداتها.(٣)

καὶ ἔγραψεν ὁβασλευς πάσῃ τῇ βασιλείᾳ αὐτου εἶναι πάντας εἰς λαὸν ἕνα καὶ εγκαταλιπεῖν ἕκαστον τὰ νόμιμα αἴτου. καὶ επεδέξαντο παντα τα ἔθνη κατα τὸν λόγον του βασιλέως.

أرسل الملك أحد مندوبيه ويدعى أثينايوس *Athenaeus* إلى أورشليم حاملا أمرا ملكيا، يتم بموجبه تنظيم شئون العبادة والحياة الاجتماعية فى كل أرض جودايا، وبمقتضى هذا الامر الملكى فقد تقرر وقف العادات والشعائر التى اعتاد أن يمارسها اليهود، وعدم إقامة الاحتفالات الدينية، وعدم اعتبار يوم السبت يوما مقدسا، ووقف إجراء عمليات الختان التى يقوم بها اليهود لأبنائهم،

(1) Mørkholm, Otto; op. cit. pp. 146.

(2) Schurer, E; op. cit. p. 155.

(3) 1 Macc. 1, 41-2.

ومصادرة نسخ التوراة وإحراقها، وفرض عقوبات صارمة على المخالفين،[١] أما هيكل أورشليم فقد أصبح يسمى معبد الإله زيوس الاوليمبى، وأصبح لزاماً على اليهود أن يحتفلوا بعيد ميلاد الملك فى كل شهر، والمشاركة فى أعياد ديونيسوس التى تمارس فيها العربدة والفجور،[٢] حتى يكون معبدا لكل رعايا الدولة وليس لليهود فقط.[٣]

راح رجال الملك يعملون بحماس منقطع النظير من أجل تنفيذ الأوامر الملكية، وكان على رأسهم الكاهن الأكبر منيلاوس، ولم يقتصر الأمر على أورشليم بل تعداه إلى سائر أرجاء جودايا.[٤] وفى شهر ديسمبر من عام ١٦٧ تم التوقف عن تقديم القرابين فى هيكل أورشليم، ونصب فى داخل الهيكل مذبحا وثنيا إلى جانب مذبح يهوه،[٥] مما يعد تدنيسا للهيكل المقدس من وجهة نظر اليهود، وتم ذبح خنزير على المذبح، وكان اختيار هذا الحيوان بالذات مقصودا من قبل السلطات، لأنهم كانوا يعرفون مدى كراهية اليهود للخنزير، وقد حفلت كتب المكابيين بقصص مدهشة عن اليهود الذين وقفوا بشجاعة وتمسكوا بعقيدتهم،[٦] وأن كان راسل *Russell* يرى أن بعض هذه القصص لا تخلو من الشكل الأسطورى.[٧]

(1) 1 Macc. 1, 44-51.; Austin, M; op. cit. pp. 385-6. Russel, D; op. cit. 41.; Ruth, C.; op. cit., p. 69.

(2) Tcherikover, V; op. cit. p. 196.

(3) Bright, J; op. cit., p. 424.

(4) Russel, D; op. cit. 42.

(5) 1 Macc. 1, 41-2.

جرى بناء مذابح وثنية فى كافة أرض جودايا، وأرغم اليهود على تقديم الأضاحى من الخنازير، أنظر:
Joseph. Ant. XII, 253-254.

(6) Schurer, E; op. cit. 155.

(7) Russell. op. cit., p. 42.

يذكر الكتاب الثانى أن رجلا من الأتقياء يدعى إليعازر *Eleazer* وكان طاعنا فى السن قد أجبر على فتح فمه لكى يأكل لحم الخنزير، ولكنه رفض وآثر أن يموت بشرف،(١) وهناك قصة الأم التى كان لها سبعة أولاد، وقد شاهدتهم يقتلون والواحد تلو الآخر أمام عينها، لأنهم رفضوا العبادة الوثنية، ثم ماتت هى بعد ذلك حزنا عليهم،(٢) كما قامت السلطات بإعدام النساء اللواتى قمن بإجراء الختان لأبنائهن،(٣) وجرى حرق الكتب المقدسة، وإعدام كل من يحتفظ بنسخ منها، وامتد الاضطهاد الاضطهاد لكى يشمل اليهود الذين كانوا يعيشون خارج أرض جودايا، وهو ما شهدته مدينة عكا (بطولميس) *Ptolemais* على سبيل المثال.

والسؤال الذى نطرحه هنا هل كان اليهود المتأغرقون وزعيمهم منيلاوس سعداء بما كانت ترتكبه السلطات فى حق أبناء جلدتهم؟ يجيب رسل على هذا السؤال قائلا: "أن اليهود المتأغرقين الذين كانوا شهودا على هذه الأحداث كانوا مؤيدين لها"، وكان زعيمهم منيلاوس الذى ظل يمارس وظيفة الكاهن الأكبر بشكل رسمى أبعد ما يكون عن الاحتجاج، وكان يرى أنه ليس هناك ضير مادامت الديانة اليهودية مستمرة، ومادام إله إسرائيل ما يزال يعبد جنبا إلى جنب مع الآلهة الأجنبية".(٤)

هكذا أصبح هيكل أورشليم مرتعاً للعبادات الوثنية،(٥) وأدى إلى الاضطهاد الذى مارسه رجال الملك بلا هوادة إلى هروب الكثيرين إلى الجبال، الأمر الذى اعتبرته السلطات نوعا

(1) 2 Macc. 6. 18-21.

(2) 2 Macc. 7.

(3) 2 Macc. 1, 60-61; 2 Macc. 5, 10.

(4) Russell. op. cit., p. 42.

(٥) نشر الباحث فرجوس ميللر Fergus Miller بحثاً فى مجلة الدراسات اليهودية عن مقدمات الحركة المكابية؛ حاول فيه أن يشرح طبيعة الطقوس التى كانت تمارس فى هيكل أورشليم فى الفترة ما بين عامى ١٦٧، ١٦٤.

من التمرد على الدولة، فإن هذا الانسحاب *Anachoresis* يعنى ببساطة أن الأرض لن تجد من يزرعها، وهو ما يؤثر سلبا على الدخل الملكى، لذلك أخذ الجنود فى مطاردة الهاربين، وقتلهم بلا رحمة أينما وجدوا، وقد ساعد هؤلاء الجنود فى أداء مهمتهم تلك العادة التى كان يحرص عليها اليهود المتدينون، والتى تحرم عليهم القيام بأى عمل يوم السبت، لذلك فقد كانوا صيدا سهل المنال لرجال الملك، الذين كانوا يذبحونهم ذبح الأنعام، ويورد الكتاب الأول للمكابيين قصة عن بعض اليهود الذين اختبئوا فى الأحراش، وعندما حاصرهم الجنود قالوا لهم: "مازال أمامكم الوقت، تعالوا وأطيعوا الملك لكى تبقوا على حياتكم" ولكنهم ردوا عليهم قائلين: "لن نخرج ولن نطيع أوامر الملك، ولن ننتهك يوم السبت"، فهجم عليهم الجنود وذبحوهم، وهكذا اشتدت الوطأة على اليهود، وباتوا يحلمون بالتخلص من هذا الكابوس.(١)

الحركة المكابية

أخذ الشعور بالسخط يتنامى ضد سياسات أنطيوخس الرابع، وبات اليهود فى حاجة إلى قيادة تأخذ بيدهم للخلاص من هذه المحنة، وقد توفرت هذه القيادة فى شخص كاهن يدعى متتاتيا *Mattatia*، وهو ينتمى إلى العائلة الحشمونية *Hasmonaean*،(٢) وقد آثر هذا الرجل أن ينسحب من أورشليم إلى قرية مودعين *Modein* ، التى تقع شمال غربى أورشليم، ومعه أبناؤه الخمسة، وعندما حضر رجال الملك إلى القرية لتنفيذ أوامر الملك، وإجبار الناس

Millar, Fergus; The Background to the Maccabaean Revolution. Journal of Jewish studies. vol. XXIX. (1978), p. 3.

(1) 2 Macc. 2, 23-25.

(٢) كان جد متتاتيا كان يسمى أساموناوس Asamonaeus وربما جاءت منها تسمية الحشمونين، وهناك تفسيرا آخر وهو أن كلمة حشموناىم تعنى الأمراء، انظر: Russell. op. cit., p. 43.

على تقديم القرابين للآلهة الوثنية، وتم توجيه الأمر إلى متتاتيا لكى يبدأ أولا فى تقديم القرابين هو وأبناؤه بسبب مكانته فى القرية، وقالوا إذا ما نفذ الأوامر هو وأبناؤه فسوف يعتبرون فى عداد أصدقاء الملك، ولكن بدلا من إطاعة الأمر أعلن متتاتيا على الملأ أنه ما يزال مخلصا لشريعة أجداده، وعندما هم أحد اليهود بالتقدم نحو المذبح الوثنى لتقديم القربان انقض عليه متتاتيا وقطع رأسه أمام المذبح، ثم استدار إلى الضابط الذى كان يقف إلى جواره وذبحه، ثم قام بتحطيم المذبح، وكان من المستحيل على متتاتيا وأبنائه البقاء فى القرية بعد ذلك، فقرر الفرار إلى الجبال داعيا كل المخلصين للشريعة إلى اللحاق به.(١)

سارع الكثيرون إلى اللحاق بمتتاتيا، وأتخذ الرجل قرارا مهما، وهو أن يقاتل دفاعا عن نفسه حتى فى أيام السبت، وذلك على الرغم من معارضة الكثيرين لهذا القرار، الذين رأوا فيه مخالفة لتعاليم التوراة، ولكن متتاتيا رأى أنه لا بأس من مخالفة تعاليم التوراة فى بعض الأحيان من أجل الحفاظ على الشعب اليهودى، ولم يكتف بذلك بل راح يدعو كافة اليهود إلى مقاومة قرارات الملك، واستطاع أن يكسب إلى جانبه قطاعاً كبيراً من جماعة الأتقياء (الحسديم *Hasidim*)،(٢) ثم اتجه بعد ذلك إلى جودايا، وراح يحصد رقاب المرتدين ، ويحطم المذابح الوثنية، وأخذ رجاله يقومون بإجراء عمليات الختان للصبية الذين أهمل آباؤهم إجراء هذه العملية لهم، وصب جام غضبه على المرتدين، وقد أدى ذلك إلى انشقاق

(1) 1 Macc. 2, 1-28; Joseph. Ant. XIII, 266-271.

من الملاحظ أن الكتاب الثانى للمكابيين لم يذكر ما قام به متتاتيا، لأن مؤلف هذا الكتاب حرص على التركيز على شخص يهوذا المكابى أما الكتاب الأول فإنه يركز على دور ماتتاتيا باعتباره رأس الأسرة الحشمونية.

Bartlett, J; op. cit. pp. 33-34n. 70.

(2) 1 Macc. 2, 41; Grant, M, op. cit. p. 210.

اليهود أنفسهم، وقيام حرب أهلية بينهم على الرغم من أنها فى الأصل كانت ثورة قومية ضد السلطة السلوقية [١]

بعد انطلاق الثورة بوقت قصير توفى متتاتيا (عام ١٦٦-١٦٥) وتولى القيادة من بعده ابنه يهوذا الذى عرف بالمكابى *Judas Maccabaeus*،[٢] وعرفت الحركة بأكملها بالمكابية، كما أطلق على القائمين بها اسم "المكابيون" وقد وقع الصدام الأول بين المكابيين والقوات السلوقية فى صيف عام ١٦٦، وتحمل عبء المواجهة أبوللونيوس حاكم جودايا والسامرة، ولقى حتفه فى هذه المواجهة، واستولى يهوذا على سيفه وظل يحارب به طوال حياته،[٣]

καὶ ἔλαβον τὰ σκῦλα αὐτων, καὶ τὴν μαχαιραν Ἀπολλωνίου ἔλαβεν Ιουδας και ἦν πολεμῶν αὐτῇ πάσας τὰς ἡμερας.

(1) 1 Macc. 2, 1-39-48.

(٢) لقب المكابى يعنى المطرقة بالعبرية ، وهو لقب يدل على الشجاعة ، فهو أشبه بالمطرقة فى تعامله مع أعدائه، ويذكر الكتاب الأول للمكابيين أن متتاتيا هو الذى اختاره وقال لأبنائه أن يهوذا قوى وشجاع منذ طفولته وأنه سيكون قائدكم، وسوف يحارب من أجل شعبه ، أنظر: 1 Macc. 2, 66-7; Ruth, C; op. cit. p. 71.

(3) 1 Macc. 3, 12.

وأعقب ذلك حضور جيش آخر تحت قيادة شخص يدعى سيرون *Seron*، وكان يشارك فى جيشه عدد من اليهود المتأغرقين، وقد لاقى سيرون صعوبة كبيرة فى خوض حرب عصابات ضد يهود يهوذا المكابى، لذا آثر الانسحاب،(١) ولكن جوزيفوس يقول أنه قتل.(٢)

كان لتلك الأحداث أصداء واسعة فى جودايا، فقد هلل اليهود ونظروا إليها باعتبارها انتصارات ليهوذا المكابى، على الرغم من أن السلطات السورية اعتبرتها مجرد أحداث لن تلبث أن تجد طريقها للحل، أما أنطيوخس الرابع فلم يعرها التفاتا، وخير دليل على ذلك أنه فى ربيع عام ١٦٥ غادر أنطاكية على رأس قواته للقيام بحملة على الولايات الشرقية،(٣) وتم إسناد مهمة الأشراف على المملكة فى غيبة الملك إلى موظف رفيع المستوى يحمل لقب "صديق الملك" وهو ليسياس، وألقيت على عاتقه مسئولية التعامل مع المسألة اليهودية.

بعد مغادرة الملك أنطاكية متوجهاً إلى الشرق جرت أولى المحاولات من قبل سلطات أنطاكية لإخماد التمرد اليهودى، فقد هرع فيليب *Philp* القائد السلوقى فى أورشليم إلى بطلميوس حاكم إقليم جوف سوريا وفينيقيا مناشدا إياه سرعة التدخل بعد أن استفحل خطر المكابيين، وأصبح لديهم القدرة على إعداد جيش كبير، وقد استجاب بطلميوس لهذه الدعوة، فى صيف عام ١٦٥ أرسل جيشاً جراراً تحت قيادة كل من جورجياس *Gorgias* و نيكانور *Nicanor* إلى جودايا، وهو جيش أثار انبهار الجميع. واعتقدوا أنه منتصر لا محالة،

(1) 1 Macc. 3, 13-24; Bar-kochva, Bezalel; Judas Maccabaeus. The Jewish Sturggle against the Scleucids. Combridge (1989). p. 207.

(2) Joseph. Ant. XII, 288-292.; Tcherikover. V; op. cit. p. 207.

راح رجال يهوذا يستولون على الغنائم ويبرر الكتاب الثانى هذا المسلك بالقول بأنهم كانوا يوزعونها على الأيتام والأرامل. 2 Macc. 8, 28.

(3) Bevan, E; op. cit. p. 177.

ورافق تجار العبيد الجيش السلوقى، وأحضروا معهم المال الوفير لشراء اليهود الذين سيسقطون أسرى،(١) ولكن على عكس ما كان متوقعا ؛ فقد تمكن يهوذا المكابى من إلحاق الهزيمة بهذا الجيش.(٢)

ولم يكن الجيش السلوقى هو العدو الوحيد الذى يواجهه يهوذا المكابى، بل كان عليه أن يحارب اليهود المتأغرقين، الذين وصفتهم المصادر اليهودية بـ "الآثمون" ἀσβεῖς، ووجهت الشكر إلى يهوذا المكابى لقيامه بمحاربتهم، ويقول الكتاب الأول للمكابيين "لقد كان يبحث عن الخارجين على القانون ويلاحقهم، لقد كان يدمر هؤلاء الذين آذوا شعبه".(٣)

καί ἐδιωξεν ἀνομους ἐξερευνῶν καὶ τοὺς ταράσσοντα ς
τὸν λαὸν αὐτοῦ ἐφλόγισεν.

وهذا يعنى أن أرض جودايا كانت فى حالة حرب أهلية، وكانت هذه الحرب ذات طابع طبقى، فهى حرب ضد الأغنياء أيضاً، ولكن مع الأسف الشديد فإننا نلاحظ أن المصادر وجهت اهتمامها إلى الجانب السياسى من هذه الحرب، وركزت على هذه الحرب باعتبارها صراعا بين يهوذا المكابى والسلطة المركزية، ولم تلق بالا إلى الصراع بين اليهود أنفسهم.(٤)

(1) 1 Macc. 3, 41.

(2) 2 Macc. 8, 21-29; Bar-kochva, B; op. cit. p. 360.

(3) 1 Macc. 3, 5.

(4) Tcherikover, V; op. cit. p. 212.

يقول روستوفتزف أن ثورة يهوذا المكابى كانت موجهة ضد الأغنياء من اليهود أكثر من كونها ثورة ضد الدولة السلوقية، أنظر: Rostovitzeff, M; op. cit. II. p. 705.

قررت السلطات فى أنطاكية الاستمرار فى اتباع سياسة القبضة الحديدية لإخماد تمرد اليهود، وفى هذه المرة قاد ليسياس نائب الملك الجيش بنفسه متوجها إلى جودايا، فسلك الطريق الساحلى عبر بلاد الايدوميين *Idumaea* ، ثم اتجه شرقا حيث دخل جودايا من الجنوب، وحاصر قلعة بيت سور *Bet-Zur*، وعلى الفور توجه يهوذا لملاقاة ليسياس، وعلى الرغم من ضخامة الجيش الغازى فإن يهوذا تمكن من هزيمتة، مما أجبر ليسياس على فك الحصار المضروب على قلعة بيت سور والعودة إلى أنطاكية، ودخل الطرفان فى مفاوضات،[١] وبعد عودة ليسياس إلى أنطاكية أصبح يهوذا المكابى يسيطر على كل أرض جودايا فيما عدا قلعة أورشليم.[٢]

لم يلبث ليسياس أن عاود الكرة، متبعا نفس الطريق، فسار بمحاذاة الساحل ثم عرج على بلاد الايدوميين، وبدأ عملياته العسكرية بحصار قلعة بيت سور، وتمكن من السيطرة عليها، واستعد للانقضاض على أورشليم. ويرى بعض الباحثين أن حملة ليسياس الأولى لم تحدث، وأنها من بنات أفكار المصادر اليهودية التى أرادت إضفاء هالة من المجد على المقاتلين اليهود،[٣] ولعل أهم ما يستلفت النظر فى تلك الفترة هو تغير سياسة الإدارة السلوقية تجاه اليهود، وميلها الواضح إلى المهادنة، فقد فضل ليسياس أن يلجأ للمفاوضات، وقدم لنا الكتاب الثانى للمكابيين وثيقتين على قدر كبير من الأهمية، أولاهما عبارة عن خطاب وجهه ليسياس لليهود، ومن الواضح من صيغة هذا الخطاب أنه كان قد دخل فى مفاوضات مع اليهود من مدة، ويرجح بارتلت *Barteltt* أن ليسياس كان قد تشاور مع الملك قبل الأقدام

(1) 1 Macc. 4, 35. Schurer, E; op. cit. p. 161.

(2) Tarn, W; op. cit. p. 216.

(3) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 152.

على هذه الخطوة،[١] وأن الكاهن الأكبر منيلاوس أيضاً قد توجه إلى الشرق وقابل الملك، وهو ما يمكن أن نستخلصه من العبارة التى وردت فى خطاب الملك إلى اليهود حين يقول "لقد أخبرنا منيلاوس برغبتكم فى العودة إلى دياركم"،[٢] ويرى بعض الباحثين أن موافقة الملك على العفو عن المتمردين والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم كان الهدف منها إضعاف يهوذا المكابى.[٣]

وينبغى أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا أن ذكر منيلاوس فى خطاب الملك كان المقصود منه التأكيد على مكانة منيلاوس باعتباره ممثلا لليهود لدى السلطة السلوقية ، وأن الدولة لا تنوى الانقلاب على سياستها المعهودة والتخلى عن حلفائها من اليهود المتأغرقين الذين يدينون لها بالولاء، وكانت أفكار منيلاوس تتلخص فى أنه ينبغى العفو عن المتمردين والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم، على أن يعودوا إلى طاعة الملك، وبأن يسمح لهم بأن يعيشوا طبقاً للشريعة اليهودية، على أن يظل منيلاوس (المتأغرق) يشغل منصب الكاهن الأكبر، ويكون ممثلا للسلطة المركزية لدى اليهود، وبذلك يتحقق نوع من التوازن بين طرفى النزاع فى جودايا، ويمكنهما بعد ذلك التوصل إلى صيغة للتعايش.

وتنفيذا للتوجه الجديد للدولة أرسل أنطيوخس الرابع خطابا إلى مجلس الشيوخ اليهودى*gerousia*، وإلى الشعب اليهودى أعلن فيه عفوا عاما عن اليهود الذين عادوا إلى ديارهم،[٤] ويترتب على ذلك حقهم فى اتباع قوانينهم وممارسة شعائرهم كماهو الحال فى

(1) Bartlett, J; op. cit. p. 305.

(2) 2 Macc. 11, 29-30.

(3) Bartlett, J; op. cit. p. 307.

(4) Tcherikover, V; op. cit. p. 214.

السابق، وهذا يعنى أيضاً أن ترفع عن كاهلهم الضريبة التى فرضت على الأرض الزراعية، والتى تقرر فرضها فى عام ١٦٧، وقد حمل منيلاوس خطاب الملك إلى قومه، وينبغى الإشارة إلى أن القائد السلوقى الجديد بطلميوس ماكرو *Macro* بذل ما فى وسعه من أجل تنفيذ سياسة الدولة الجديدة فى جودايا، لذلك فإن المصادر اليهودية راحت تكيل له المديح.[١] ولكن هناك أمر ينبغى أن نأخذه فى الاعتبار؛ وهو أن تحقيق السلام فى جودايا كان يتوقف إلى حد كبيرعلى رغبة المكابيين فى التعايش مع أعدائهم الألداء أى اليهود المتأغرقين، وعلى وجه الخصوص الكاهن الأكبر منيلاوس، مصدر الشرور فى نظرهم، والذى اعتبروه مسئولا عن كل ظلم تعرض له اليهود فى هذه الفترة.

على الرغم من قبول المكابيين للعفو الملكى؛ فإنهم استغلوا فرصة عدم تدخل الدولة فى جودايا وراحوا يعملون على تدعيم قوتهم استعداداً لجولة قادمة، وأصبح يهوذا المكابى يمثل رمزاً للشعب اليهودى، أما المتأغرقون فقد انكسرت شوكتهم، بسبب تقلص دور الدولة السلوقية فى جودايا، لذلك شعر المكابيون بأن فرصتهم سنحت من أجل تصفية حساباتهم مع "المرتدون" كما كانوا يصفونهم، وفى صيف عام ١٦٤ شن يهوذا المكابى حروبا شعواء على بعض الشعوب المجاورة للانتقام منها بسبب مشاركتها فى اضطهاد اليهود الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، وبلغ انتقامه حدا بشعا فى بعض الأحيان، فقام بوضع مواطنى مدينة يافا فى قوارب ودفع بهم إلى البحر لإغراقهم،[٢] وعندما اطمأن إلى قوته اقتحم أورشليم

---

(١) يقول الكتاب الثانى للمكابيين "لأن بطلميوس قام بالمبادرة فى الرجوع عن المعاملة الظالمة السابقة لليهود، وحاول أن يحافظ على علاقات يسودها السلام معهم". 2 Macc. 10, 12-13.

(2) 1 Macc. 5, 11; 2 Macc. 10, 10ff, 12. 1ff.
للمزيد من المعلومات عن الشعوب التى نكل بها يهوذا المكابى. Tcherikover, V; op. cit. p. 212-2.

وسيطر على الهيكل،[١] "والآن فإن المكابى وأتباعه يقودهم الرب استعادوا الهيكل والمدينة" كما ورد فى الكتاب الثانى للمكابيين

Πακκαβαῖος δὲ καὶ αἱ αὐτῳ τοῦ κυρίου προάγοντος αὐτοὺς τὸ μὲν ἱερὸν ἐκομἰσαντο καὶ τὴν πάλιν.

وكان اليهود المتأغرقون أضعف من أن يبدوا أى مقاومة، فاضطر بعضهم إلى الاحتماء بالقلعة ، بينما آثر البعض الآخر أن يفر إلى المناطق المجاورة مثل بلاد الأيدوميين.[٢]

وبعد أن أحكم سيطرته أعاد يهوذا المكابى عبادة يهوه إلى هيكل أورشليم، وجرى الاحتفال بعيد الحانوكاه (الأنوار)، وتم تطهير المدينة من الدنس الذى يتمثل فى وجود تماثيل للآلهة الاغريقية، ومضى يهوذا المكابى قدما فى تدعيم مكانته ، فوضع الحاميات فى كل مكان،[٣] وأختار كهنة الهيكل من الرجال المخلصين لتعاليم التوراة[٤]

καὶ επελὲξατο ἱερεῖς ἀμώμουσ θελγτας νόμου

(1) 1 Macc. 4, 36-59.

لم يقتصر انتقام يهوذا المكابى على الشعوب والأفراد، بل امتد ليشمل العبادات الأخرى، فقام بإضرام النيران فى معبد الربة السورية عشتروت وهدمه على رؤوس الأهالى الذين احتموا به، وحطم تماثيل الآلهة فى آشدود.

1 Macc. 5, 44, 48; Tcherikover, V; op. cit. p. 222.

(2) 2 Macc. 10, 15.

(3) 1 Macc. 4, 60-61.; Russell, D; op. cit. p. 48.

(4) 1 Macc. 4, 42.

كما سعى فى نفس الوقت إلى تدعيم مكانته على الصعيد الدولى، فأرسل بعثة إلى روما فى عام ١٦١ ينشد صداقتها.[١]

والحقيقة أننا لا نعرف على وجه اليقين ما هو المنصب الرسمى الذى كان يشغله يهوذا المكابى فى أورشليم، فإن منيلاوس كان ما يزال يشغل منصب الكاهن الأكبر، ويذكر المؤرخ جوزيفوس أن شعب أورشليم قام باختيار يهوذا المكابى لشغل منصب الكاهن الأكبر، وأنه شغل هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات،[٢] إلا أنه فى مواضع أخرى[٣] يقول أن الياكم *Alcimus* أصبح كاهنا أكبر بعد منيلاوس مباشرة، دون الإشارة إلى يهوذا المكابى، وهناك أمر ينبغى أن نأخذه فى الحسبان، ويدعونا إلى الشك فى إمكانية إسناد منصب الكاهن الأكبر إلى يهوذا المكابى، وهو أن جماعة الأتقياء (الحسديم) الذين كانوا يشكلون العمود الفقرى للثورة المكابية لا يمكن أن يوافقوا على أن يتولى يهوذا هذا المنصب، لأنه لا ينتمى إلى إحدى العائلات التى لها حق تولى هذا المنصب الرفيع.

أدت انتصارات يهوذا المكابى إلى حدوث تغيرات مهمة فى أورشليم، وتتمثل هذه التغيرات فى صعود الفلاحين البسطاء وفقراء المدينة على حساب الأثرياء، وأصبح يهوذا المكابى هو زعيم الأمة اليهودية بلا منازع،[٤] ومن ناحية أخرى فإن انتصارات المكابيين تمثل بداية لمرحلة جديدة فى التاريخ اليهودى، هى بداية ظهور عائلة حاكمة جديدة هى العائلة الحشمونية، وبعد أن نجح يهوذا فى دخول أورشليم وتطهير الهيكل، أصبح رجاله يحبونه حبا

(1) Zollschan, L. T; The Earliest Jewish Embassy to the Romans: 2 Macc. 4: 11. Journal of Jewish Studies. Vol. LV, (2004),. p. 37-44.

(2) Joseph. Ant. XII, 414, 419, 434.

(3) Joseph. Ant. XII, 385, XX. 437.

(4) Schurer, E; op. cit. p. 168.

لا نظير له، ويرون فيه تجسيدا لآمالهم القومية، وفى عام ١٦٣ شهدت الدولة السلوقية حدثا خطيراً يتمثل فى وفاة الملك أنطيوخس الرابع إبيفانيس أثناء حملته فى الشرق، وتولى ابنه أنطيوخس الخامس يوباتور *Eupator* العرش السلوقى،(١) وكان الملك الجديد طفلاً يبلغ الثامنة من عمره، فأسندت مهمة الوصاية عليه إلى ليسياس صاحب التاريخ الطويل فى التعامل مع اليهود، وأصبح صاحب اليد العليا فى الدولة، أما بطلميوس ماكرون فقد تم إعدامه بناء على أوامر ليسياس.(٢)

أدت التغيرات التى حدثت فى رأس السلطة فى الدولة السلوقية إلى تغيرات جذرية فى سياسة الدولة تجاه اليهود، فقد أعطى ليسياس آذانا صاغية لليهود المتأغرقين، الذين راحو يحرضونه على المكابيين، وأثمر تحريضهم ، فقرر ليسياس وضع حد للتمرد اليهودى، وقاد جيشا جرارا متوجها إلى فلسطين، ومصطحبا معه الملك الصغير، ويذكر الكتاب الأول للمكابيين أن هذا الجيش كان يتألف من ١٠٠ ألفا من المشاة وعشرين ألفا من الفرسان، ومعهم ٣٢ فيلا،(٣) إلا أن تشيريكوفر يرى أن هذا الرقم ينطوى على قدر من المبالغة،(٤) ولم يكن لدى يهوذا المكابى عدداً كافياً من المقاتلين لمواجهة هذا الجيش الضخم "وعندما سمع يهوذا عن ضخامة هذا الجيش طلب من الشعب أن يتضرع إلى الرب ليلاً ونهاراً ، وأن يصلى فإن هذه اللحظة هى أهم اللحظات التى يجب أن يخف فيها الرب لمساعدتهم "كما جاء فى نصوص الكتاب الثانى للمكابيين،(٥) ولكن دعوات يهوذا أخفقت

(1) Bevan, E; op. cit. p. 181.

(2) Tcherikover, V; op. cit. p. 224.

(3) 1 Macc. 6. 30.

ورد فى الكتاب الثانى أعداد مغايرة لهذا العدد، أنظر: 2 Macc. 13. 2.

(4) Tcherikover, V; op. cit. pp. 224-5.

(5) 2 Macc. 13. 10.

فلقى هزيمة على يد ليسياس، أضطر بعدها إلى تسليم قلعة بيت . سور *Bet-Zur* والتراجع إلى أورشليم حيث تحصن بها، فلحق به ليسياس وضرب حصاراً حول المدينة.(١)

أصبح موقف اليهود حرجاً للغاية، وعانت أورشليم من نقص المؤن،(٢) إلا أن الفرج جاء للمحاصرين من حيث لا يحتسبون، وتفصيل ذلك أن أنطيوخس الرابع قبل وفاته كان قد أصدر قرارا يقضى بإسناد مهمة الوصاية على ابنه الصغير إلى أحد القادة المصاحبين له فى الحملة الشرقية، ويدعى فيليب *Philip*،(٣) ولم يلبث هذا الأخير أن اتجه إلى سوريا لتنفيذ هذا القرار، وعندما ترامت هذه الأنباء إلى ليسياس قرر رفع الحصار عن أورشليم والدخول فى مفاوضات مع يهوذا المكابى، وأعقب ذلك صدور قرار باسم الملك الصغير أنطيوخس الخامس يوباتور، تم بمقتضاه إلغاء قرارات أنطيوخس الرابع السابقة، والسماح لليهود أن يعيشوا طبقا لشريعة آبائهم، وهذا يعنى ببساطة إلغاء تحويل أورشليم إلى مدينة إغريقية، بعد أن ظلت تتمتع بهذا الوضع لمدة ١٣ عاماً، وهذا فى حد ذاته يمثل إنجازاً عظيماً ليهوذا المكابى، ويلى ذلك من حيث الأهمية قرار الملك بتسليم الهيكل إلى اليهود، وهذا يعنى إزالة رموز الوثنية منه،(٤) على الرغم من أن الهيكل كان فى قبضة اليهود من الناحية الفعلية، ولكن لا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن أن قرار الملك أنطيوخس الخامس أعطى استقلالا لليهود، فإن الحامية السورية كانت ما تزال ترابط فى قلعة أورشليم، وتمثل رمزاً للسيادة السلوقية، على الرغم من أنها لم تعد تلعب دوراً فى مساندة اليهود المتأغرقين كما كان عليه الحال فى الفترة السابقة، وكان الكاهن الأكبر منيلاوس هو كبش الفداء الذى قدم على مذبح السلام بين اليهود والدولة السلوقية، فقد تم أخذه إلى أنطاكية وجرى إعدامه بطريقة وحشية بأمر الملك.(٥)

(1) Russell, D.; op. cit. 49.

(2) 1 Macc. 6. 49-54, ; 2 Macc. 13. 18-22.

(3) Bevan, E; op. cit. p. 184.

(4) 1 Macc. 4. 43.

(5) Joseph. Ant.

لم يكن إعدام منيلاوس يعنى أن الدولة أصبحت تتعاطف مع يهوذا المكابى وجماعته ، بل نظرت إليه باعتباره مجرد زعيم عصابة ناجح، وأن الظروف أجبرتها على التعامل معه، ولكن من المستحيل النظر إليه باعتباره زعيما لليهود، وكان على ليسياس أن يختار خليفة لمنيلاوس فى منصب الكاهن الأكبر، والحقيقة أن أنطاكية كانت ما تزال تضع ثقتها فى اليهود المتأغرقين، وتعتبرهم الحلفاء الدائمين للدولة، لذلك وقع الاختيار على أحدهم وهو الياكيم *Alcimus* ، الذى كان يتسم بالاعتدال،(١) لكى يخلف منيلاوس فى منصب الكاهن الأكبر، ويذكر جوزيفوس أنه لم يكن ينتمى إلى عائلة حونيو، وأن ليسياس بإقدامه على هذه الخطوة انتزع منصب الكهانة من هذه العائلة،(٢) على الرغم من أن الكتاب الثانى للمكابيين يقول أن الياكيم تولى منصب الكاهن كمنصب وراثى προγονικὴ δόχξα وأنه ينحدر من عائلة حونيو.(٣)

والسؤال الذى ينبغى أن نطرحه هنا هو هل تقبل يهوذا المكابى ورفاقه هذا التعيين؟

فإن قيام الدولة بتعيين أحد المتأغرقين فى منصب الكاهن الأكبر لا يعد علامة مشجعة بأى حال من الأحوال، وفى عام ١٦٢ تولى عرش الدولة السلوقية ديمتريوس ابن سلوقس الرابع فيلوباتور،(٤) فذهب إليه ألياكيم ومعه "مجموعة من الآثمين من بنى إسرائيل" كما جاء فى الكتاب الأول للمكابيين،(٥) وتقدموا بشكوى ضد يهوذا المكابى، لأنه طرد ألياكيم من منصبه، وأنه يقوم

يقول جوزيفوس أن الملك اعتبر منيلاوس مسئولا عن التمرد الذى قام به اليهود، لأنه أقنع أنطيوخس الرابع باتخاذ تلك الإجراءات ضد اليهود أنظر أيضاً: Schurer, E; op. cit. p. 168n. 17.

(1) 2 Macc. 14. 18-139.; Bartlett, J; op. cit. p. 328; Grant, M; op. cit. p. 212.

(2) Joseph. Ant. XII, 386, XX, 235.

(3) 2 Macc. 14. 7.; Bartlett. J; op. cit. pp. 97, 329.

(4) Bevan, E; op. cit. pp. 188ff.

عن ظروف ارتقاء ديمتريوس العرش السلوقى، راجع: أبو اليسر فرح ، دور اليهود فى الصراع على العرش السلوقى، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، العدد ٢٤، القاهرة (٢٠٠٧)، ص ٢٦.١٨.

(5) 1 Macc. 7. 5.

باضطهاد اليهود (يقصد اليهود المتأغرقين)،[١] وقالوا للملك أن البلاد لن تعرف السكينة طالما أن يهوذا المكابى على قيد الحياة، وقد اقتنع الملك بكلام ألياكيم، ووافق على تثبيته فى منصب الكاهن الأكبر، وقرر أن يرسل معه جيشاً بقيادة باكخيديس *Bacchides* لكى يصحبه إلى أورشليم.[٢]

وهكذا وجد يهوذا المكابى نفسه مرة أخرى فى مواجهة السلطة الحاكمة فى الدولة، ولكن الأمر اختلف فى هذه المرة، فإن جماعة الأتقياء (الحسديم) التى وقفت إلى جانبه، وشكلت الدعامة الرئيسية فى قواته اختلف موقفها فى هذه المرة، ورأى زعماؤها أنه ليس هناك داع لمحاربة ألياكيم إذا ما قبل التعاون معهم، والاعتراف بهم كمفسرين لقوانين السلف،[٣] وهذا يعنى بالتبعية مشاركتهم إياه فى السلطة، وتوجه وفد منهم لمقابلة ألياكيم وباكخيديس، وأعلنوا أنهم على استعداد للتعاون مع الكاهن الأكبر طالما أنه من نسل هارون، وقبل ألياكيم هذا العرض، وأقسم أمامهم بأنه لا ينوى أن يلحق بهم أى أذى، ولكنه حنث بهذا القسم، وبعد أن أمن جانبهم ألقى القبض على ستين منهم وأمر بإعدامهم.[٤]

بدا الأمر فى البداية وكأن الحسيديم قد انشقوا عن الحركة المكابية، ولكن بعد الذى جرى لهم على يد ألياكيم عادوا القهقرى إلى صفوف المكابيين، واستبدت بهم مشاعر الكراهية ضد السلطة السلوقية التى أعادت الحكم فى أورشليم إلى أعدائهم التقليديين، أى اليهود المتأغرقين ، أما يهوذا المكابى فقد جاهر بعدائه للألياكيم، مما أثار الفزع فى قلب الكاهن الأكبر، فهرع إلى الملك يطلب الحماية، فاستجاب الملك وأرسل معه جيشا كبيرا بقيادة نيكانور *Nicanor*،[٥] إلا أن هذا الأخير

(1) Schurer, E; op. cit. p. 169.

(2) 1 Macc. 7, 5-9; Joseph. Ant. 10, 391-3.

(3) Tcherikover, V; op. cit. p. 229.

(4) 1 Macc. 7, 14-16.

"لقد تبعثرت أجساد هؤلاء القديسين، وتدفقت ودماؤهم حول أورشليم، ولم يكن هناك من يواريهم الثرى".

(5) 1 Macc. 7. 26.

بدلا من تتبع يهوذا المكابى وإلقاء القبض عليه دخل معه فى مفاوضات، مما أدى إلى هدوء الأحوال لبعض الوقت، ولكن ربما كان ذلك بتأثير ألياكيم،[١] اشتعل الموقف مرة أخرى، ونشبت الحرب بين الطرفين، وتمكن يهوذا المكابى من احراز نصر باهر عند قرية هداسا *Adasa* (فى عام ١٦١)، وفى هذه المعركة خر نيكانور صريعا فى ميدان القتال، أما الكاهن الأكبر فقد هرب إلى سوريا.[٢]

قرر الملك ديمتريوس الانتقام لمقتل نيكانور، والمحافظة على هيبة الدولة، فارسل جيشا كبيرا بقيادة باكخيديس لكى يصحب ألياكيم إلى أورشليم، وأرسل الرومان تحذيرا إلى الملك السلوقى بعدم المساس باليهود، ولكن كان من الصعب على الملك التراجع عن قراره، وعندما رأى الكثيرون من أصحاب يهوذا المكابى مدى ضخامة الجيش السلوقى انفضوا من حوله، ولكن يهوذا اصر على التصدى لهذا الجيش، وعندما التحم الجيشان لقى يهوذا هزيمة منكرة عند بلدة إلاسا *Elasa* فى عام ١٦٠، وخر هو نفسه صريعا فى ميدان القتال،[٣] وتمكن أشقاؤه من الحصول على جثمانه حيث تم دفنه فى قرية مودعين مقر الأسرة الحشمونية، وبهذا أصبح ألياكيم وجماعته أصحاب السلطة الوحيدون فى أورشليم، ويقول الكتاب الأول للمكابيين "لقد عين باكخديس المجرمين حكاما فاضطهدوا أتباع يهوذا. [٤]

وهكذا أسدل الستار عن فصل من فصول تاريخ اليهود فى فلسطين فى العصر الهللينيستى، وكان بطلا هذا الفصل الملك السلوقى أنطيوخس الرابع من ناحية ويهوذا المكابى من ناحية أخرى، وعلى الرغم من أنهما كانا على طرفى نقيض، فقد ارتبط كلاهما بالآخر، وإذا كان هدف هذا البحث

قال الكتاب الأول للمكابيين أن هذا الرجل كان يكره اليهود

(1) Tcherikover, V; op. cit. pp. 231, 487.

(2) 1 Macc. 7. 43-44; Russell, D; op. cit. p. 51.

(3) 1 Macc. 9. 17-18.

(4) 1 Macc. 9. 23-27.; Grant, M. op. cit. p. 212.; Ruth, C; op. cit. p. 73.

هو إلقاء الضوء على سياسة أنطيوخس الرابع إزاء اليهود فى فلسطين، فإننا آثرنا ألا نتوقف عند ابتعاد أنطيوخس الرابع عن المسرح بعد موته، بل أن نتحدث عن قرينه يهوذا المكابى حتى موته ، ويمكن القول بأنه فى خلال هذه المرحلة من الصراع فإن اليهود المتأغرقين لم يتمكنوا من إحراز النصر إلا بمعاونة القوات السورية، ولكن على الرغم من مقتل يهوذا المكابى، فإن الحركة المكابية ضربت بجذورها فى أعماق المجتمع اليهودى، وبشكل خاص بين جموع الفقراء من سكان الريف والطبقة الكادحة من سكان المدينة.

وإذا ما أردنا فى النهاية أن نقيم الحركة المكابية فإننا نلاحظ أن بعض الباحثين يرون أن ما حدث فى جودايا فى هذه الفترة هو بالدرجة الأولى صراع ما بين عائلة حونيو وعائلة طوبيا،[١] وهو من ناحية أخرى صراع ما بين الطبقة الإرستقراطية وعامة الشعب،[٢] وقد أدى الإصلاح الذى بدا فى عام ١٧٥ إلى تعميق الهوة بين الفقراء والأغنياء، فإن عامة الناس فى أورشليم لم تكن تهتم كثيرا بالعلاقات مع الشعوب الأخرى، ولم يكن يشغل بال الناس ما كان يحدث فى بلاط أنطاكية، ولكنهم كانوا يدركون أن حركة الإصلاح التى صاحبت الاغرقة جعلت السلطة فى أورشليم تتركز فى أيدى الأغنياء.

وينبغى ألا يغرب عن بالنا أن غالبية الفقراء كانوا يمارسون العمل فى مجال الزراعة خارج أورشليم، وكانوا يكرهون كبار الملاك الذين كانوا يقيمون فى المدينة، على الرغم من أن الريف كان هو مصدر ثروتهم ، ويمكن أن نضيف إلى الطبقة الدنيا فئة صغار الكهنة، والحقيقة أن الاستياء من حركة الأغرقة كان سائداً منذ البداية، ولكنه كان كامنا فى النفوس، ولكن عندما قام منيلاوس بسرقة كنوز الهيكل انفجرت مراجل الغضب، وكان قتل لوسيماخوس شقيق منيلاوس هو أول تنفيس عن هذا الغضب، أما الانتصار الثانى فقد تمثل فى طرد منيلاوس من أورشليم، الأمر الذى أعتبره

(1) Tcherikover, V; op. cit. p. 191.

(2) Russell, D; op. cit. p. 29.

أنطيوخس تحديا للسلطة الملكية، فأرسل إليهم قائده أبوللونيوس، وقد تمثل رد الفعل لدى سكان أورشليم فى الهروب الجماعى من المدينة، فقامت الدولة بمصادرة ممتلكاتهم، فلم يعد للكثيرين مصدر للرزق سوى حياة العصابات، وأصبحت أرض جودايا بأكملها بركانا ثائراً من الغضب، وهكذا كانت الصورة فى عام ١٦٨-١٦٧، أى قبل صدور قوانين أنطيوخس، وهذا يعنى أن ثورة اليهود كانت قد بدأت حتى قبل ظهور الأسرة الحشمونية على المسرح السياسى، وأن قوانين أنطيوخس الرابع التى أطلق عليها اليهود صفة القوانين الشريرة *Gezerot* كانت ردا على هذا التمرد الذى لعبت من خلاله جماعة الحسيديم دوراً بارزاً.

وثمة سؤال يطرح نفسه وهو هل كانت عائلة طوبيا التى حركت الأحداث خلال هذه الفترة سعيدة بالقوانين التى أصدرها أنطيوخس؟ من المؤكد أن الإجابة هى بالنفى، فإن الذى حدث فى النهاية لم يلق هوى لدى هذه العائلة، فقد كان هدفهم هو الاندفاع فى تنفيذ سياسة الأغرقة، لأن ذلك فى النهاية يمكنهم من حكم أورشليم، ولكن النتيجة أن السيطرة أصبحت فى يد موظفى الإدارة السلوقية، الذين تدعمهم قوة الحامية المرابطة فى القلعة.

ومن ناحية أخرى فإن عائلة طوبيا على الرغم من حماسها الشديد للأغرقة؛ فإنها لم تكن ترغب فى حدوث اضطهاد لليهود، وكان زعماؤها على إدراك تام لمدى تغلغل العقيدة فى نفوس الناس، ولم يكن فى تخطيطهم أن يجعلوا من أنفسهم أعداء لعامة الناس، بل كانوا يخططون لأن يكونوا حكاما لهم.

والواقع الذى لا يمكن إنكاره هو أن عائلة طوبيا شاءت أم أبت كانت تكفل الحماية لخطط أنطيوخس، وهى التى مهدت له الطريق، ولم يعد أمامها خيار سوى أن تكون فى جانبه.

فى الختام فإننا نرى أننا فى حاجة إلى تقييم عام لسياسة أنطيوخس الرابع تجاه اليهود، ونحن نتفق مع تشيريكوفر الذى يرى أنه ينبغى تقسيم هذه السياسة إلى خمسة محاور.[1] كما يلى:

(1) Tcherikover, V; op. cit. p. 175.

١ . شخصية الملك أنطيوخس الرابع.
٢ . حماس هذا الملك للحضارة الإغريقة.
٣ . رغبة أنطيوخس فى توحيد المملكة.
٤ . الرغبة فى توحيد المملكة أدت إلى تدخله فى شئون اليهود.
٥ . الذى بادر باتباع سياسة الاضطهاد لم يكن أنطيوخس بل اليهود المتأغرقون.

وإذا ما حاولنا أن نعالج هذه المحاور بالتفصيل فإننا نلاحظ ما يلى: بالنسبة للمحور الأول وهو شخصية الملك أنطيوخس الرابع، والواقع أن التركيبة الشخصية لهذا الملك لم تكن هى الأساس فى حركة اضطهاد اليهود، فقد حاولت المصادر اليهودية أن تستغل الطبيعة الخاصة فى شخصية هذا الملك من حيث كونها شخصية مركبة اختلطت فيها الكثير من العناصر المتناقضة بشكل غريب، فألصقت به كل ما هو مشين، فهو الرجل الشرير والطاغية الذى لا يقارن فى وحشيته، وإذا ما نحينا جانبا ما جاء فى المصادر اليهودية، فإننا نلاحظ أن بعض المصادر التى لا يمكن اتهامها بأنها كانت معادية له، راحت تتحدث عن بعض الجوانب الغريبة فى شخصية أنطيوخس الرابع، فها هو المؤرخ بولبيوس الذى امتدح بعض صفات هذا الملك وقدراته فى الحكم، عاد وأخذ يتندر ببعض سلوكياته، ويقول أنه كان يقدم على تصرفات لا تليق بملك، فكان يترك القصر ويتجول فى أروقة العاصمة، ومعه اثنين أو ثلاثة من الرجال، ويدخل الحوانيت والورش ويجرى حوارات طويلة مع العوام، وفى إحدى المرات دخل أحد الحمامات العامة وأخذ يصب العطور على رؤوس المتحممين، وأخذ يضحك على منظر الرجال وهم يسقطون على أرضية الحمام، وعندما يسمع عن قيام بعض الشباب بإقامة حفل موسيقى يظهر فجأة بينهم مصطحبا معه فرقة من العازفين.

كان أنطيوخس أيضا يحب المشاركة فى عروض المسرح، وفى إحدى المرات بينما كان الجمهور ينتظر ظهور الممثلين؛ فوجئوا بالملك يصعد على خشبة المسرح ثم أخذ يرقص، وقد شعر

بعض الحضور بالخجل فانسحبوا، وراح الناس يتندرون بهذه التصرفات، وأطلقوا عليه لقب إبيمانس *Epimanes* أى المجنون بدلا من لقبه الرسمى إبيفانيس *Epiphanes* الذى يعنى الظاهر.(١)

ويعتقد بعض الدارسين أن بوليبيوس كان متحاملا على أنطيوخس الرابع، وأنه تعمد التركيز على تلك الجوانب السلبية فى شخصية هذا الملك، ولكن هذا الاتهام ليس له أساس من الصحة، فلا توجد أسباب تجعل بوليبيوس يكره أنطيوخس الرابع، لأن سخاء هذا الملك تجاه المدن الإغريقية شمل مدينة ميجالوبوليس *Megalopolis* مسقط رأس هذا المؤرخ.(٢)

ولكن على الرغم مما تقدم فإننا نجد لمحات من التعاطف مع أنطيوخس الرابع لدى بعض المؤرخين المحدثين، فإن روستوفتزف *Rostovtzeff* يرى أنه أعظم شخصية من بين رجال الأسرة السلوقية وأنه "آخر السلوقيين العظماء"(٣) ويقول عنه بيفان *Bevan* بأنه ذو طبيعة بوهيمية ، وهو يتمتع بفضول لأن يعرف الحياة بطريقة مختلفة،(٤) أما تشيريكوفر فيرى أننا لا ينبغى أن نلقى تبعة ما لقيه اليهود على ما أتهم به أنطيوخس من جنون بل ينبغى أن نبحث عن أسباب أخرى.(٥)

أما المحور الثانى الذى يحاول من خلال تشيريكوفر أن يفسر علاقة أنطيوخوس الرابع باليهود فهو تلك الفكرة التى سادت بين مؤرخى القرن الثامن عشر، والتى ما تزال تلقى قبولا لدى المؤرخين حتى وقتنا هذا، وهى أن الدافع الرئيسى وراء اضطهاد أنطيوخس لليهود هو شدة حب هذا الملك للحضارة الإغريقية، ورغبته فى نشرها فى ربوع المملكة، من أجل اتخاذها وسيلة لتوحيد المملكة فى كيان واحد، وأنه رأى أن اليهود هم الشعب الوحيد من بين الشعوب التى تنضوى تحت الدولة السلوقية الذى رفض الأخذ بهذه الحضارة، ويقول المتحمسون للأخذ بهذه الفكرة أن إخلاص

(1) Polybius. XXVI, 10, XXX, 3-4.; Schurer, E.; op.cit. p. 146.

(2) Tcherikover. V. op. cit. pp. 470-1 n. 2.

(3) Rostovtzeff, M.; op. cit. p. 738.

(4) Bevan, E.; C.A. H. VIII, p. 498.

(5) Tcherikover. V. op. cit. p. 178.

أنطيوخس للحضارة الإغريقية هو أمر لا خلاف عليه، وتكفى الإشارة إلى أياديه البيضاء على بلاد الإغريق، فقد بنى معبدا للإله زيوس فى أثينا، وأقام تماثيل للآلة فى جزيرة ديلوس ، وقدم منحه مالية لمدينة ميجالوبوليس،(١) وهى مناطق تقع خارج المملكة مما يدل على حبه المجرد للحضارة الإغريقية.

أما فى داخل الدولة السلوقية فإن مظاهر حبه للحضارة الإغريقية تتمثل فى قيامه بتشييد العديد من المدن التى حملت اسم أنطاكية، كما تم تحويل العديد من المدن القديمة لكى تصبح مدنا إغريقية، وكان يأمل أن تصبح أورشليم واحدة منها، وقد رأى أن توحيد الدولة فى ظل حضارة واحدة يؤدى إلى تقويتها، ولم تكن لديه النية على طمس الثقافات المحلية واستبدالها بالإغريقية، وخير دليل على ذلك أن المدن التى كانت ذات طابع دينى وحصلت على وضع المدينة الإغريقية لم يتم إلغاء العبادة الموجودة بها، بل ظلت قائمة، مما يدل على أن الهدف لم يكن دينيا بل سياسيا، وإذا أخذنا أورشليم كنموذج، فإننا نجد أنه منذ عام ١٧٥ حين تقرر أن تكون أورشليم مدينة إغريقية لم يتم إلغاء عبادة يهوه، وظل اليهود يمارسون شعائرهم المعهودة.

أما المحور الثالث حسب تقسيم تشيريكوفر فهو الذى يتعلق برغبة الملك فى توحيد المملكة من الناحية السياسية فى إطار حضارى واحد، وقد رأى أن إيجاد ديانة واحدة هو جزء من حركة الإصلاح التى كان يفكر فيها، وقد ورد فى الكتاب الأول للمكابيين "لقد كتب الملك إلى كل أنحاء المملكة أن على الجميع أن يصبحوا شعبا واحدا، وأن على كل شعب أن يتخلى عن عاداته طبقا لأوامر الملك".(٢)

καὶ ἔγραψεν ὅβασιλεὺς πάση τῇ βασιλείᾳ αὐτου εἶναι πάντας εἰς λαος ἑνα, καὶ εγκα αλιπεῖν ἕκαστον τὰ νομίμα αὐτου. καὶ ἐπεδέξαντο παντα τά ἔθυη

(1) Mørkholm, Otto; op. cit. p. 16-2.

(2) 1 Macc. 1, 14-2

κατα τὸν τοῦ βασιλέως

وربما كان مؤلف الكتاب الأول يجنح إلى المبالغة كعادته، ويقول تشيركوفر أنه لا ينبغى أن نأخذ كلمات الكتاب الأول للمكابيين بشكل حرفى، بل نفسرها بأن الملك أعرب عن رغبته فى ذلك، ولم يأمر الناس بالتخلى عن ثقافاتهم،(١) ولعلنا نتذكر جيدا أنه حين تقرر إدخال عبادة زيوس إلى هيكل أورشليم لم يتم إلغاء عبادة يهوه، ومورست عبادة الاثنين جنبا إلى جنب فى الهيكل.

وثمة أمر آخر جدير بالملاحظة، وهو أن أنطيوخس الرابع تخلى عن الاهتمام بعبادة الإله أبوللو، الذى كان الراعى الرسمى للأسرة السلوقية، واستبدل بها عبادة الإله زيوس، ويمكن أن نلاحظ أن ملامح زيوس المرسومة على العملة تشبه إلى حد كبير ملامح الملك أنطيوخس الرابع، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن الملك كان يهدف إلى نشر عبادته هو فى شكل الإله زيوس، وهى العبادة التى يجب أن تسود فى هيكل أورشليم، وربما داعبت خيال أنطيوخس فكرة مفادها أن الإله زيوس ارتبط بالآلهة الشرقية مثل الإله السورى بعل، والإله المصرى آمون، فما المانع من أن يرتبط إله اليهود يهوه بالإله زيوس، وهو الأمر الذى يعنى محاولة الدمج ما بين عبادة وثنية وعبادة تقوم على التوحيد، وهو أمر يصعب قبوله.

وفيما يتعلق بالمحور الرابع وهو الذى يقول بأن رغبة الملك فى توحيد من الناحية السياسية هى التى دفعته للتدخل فى الشئون الدينية لليهود، ويتحمس بعض الباحثين لهذه الفكرة،(٢) ويرون فى ذلك دافعاً كافياً لإيجاد التوتر ما بين اليهود والملك أنطيوخس الرابع.

---

(1) Tcherikover. V. op. cit. pp. 472n. 2.

يرى بارتلت أن عبارة "كل أنحاء المملكة" ليست دقيقة لأن الملك يقصد فلسطين بالتحديد لأنها تتمتع بأهمية خاصة لأنها تجاور مصر، أنظر: Bartlett, J.; op. cit. p. 30.

(2) Tarn, W. W.; op. cit. p. 186.; Rostovtzeff, M.; op. cit. p. 64.

ثم نأتى أخيراً إلى المحور الخامس والأخير الذى يؤكد على أن الاضطهاد لم يمارس من قبل أنطيوخس الرابع، بل من اليهود المتأغرقين مثل الكاهن الأكبر منيلاوس ومناصروه، الذين كانوا يرغبون فى تذويب الشخصية المتميزة لليهود، التى كانت سببا فى عزلتهم عن الشعوب الأخرى، وكان اليهود المتأغرقون يرون أنهم أمام خيارين، الأول هو أن يستمروا فى التمسك بشخصيتهم، ويترتب على ذلك أن ينظر إليهم باعتبارهم برابرة، أما الاختيار الثانى فهو اللحاق بركب الحضارة الإغريقية، مما يعنى الاعتراف بوجود آلهة أخرى.

والحقيقة أنه لم يكن من الصعب على اليهود المتأغرقين أن يتخلوا عن التوراة، فقد كانوا يقولون أن الكثيرين من المشرعين مثل زرادشت وليكورجوس مثلهم مثل موسى كانوا يقولون أن تشريعاتهم سماوية، ولذلك فإن رجلا من اليهود المتأغرقين مثل ياسون ومنيلاوس كانوا يرون أن إصلاح الديانة اليهودية لن يتأتى إلا من خلال إلغاء الممارسات البربرية التى أدخلت عليها بمرور الوقت، والعودة إلى مبادئ الديانة الأصلية التى تقوم على عبادة الرب، وتخلو من كل التحريفات.[1]

(1) Tcherikover, V.; op. cit. p. 184.